

ديوانك

عبدالله بن وحيد الانصاري الحنبل

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

دراسة . جمع . تحقيق

دكتور حسين محمد باجوده

رئيس قسم اللغة العربية
بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الناشر

مكتبة

آثار الشبرا

شارع الجمهورية - القاهرة

ذِي قَوَاتٍ
عَبْدُ اللَّهِ بَيْنَ وَلَدِهِ لَنَا نَصِيبٌ مِنَ الْخَيْرِ
شَاعِرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



دراسة . جمع . تحقيق

دكتور حسن محمد باجوده

رئيس قسم اللغة العربية
شبكة كتب الشيعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الناشر
مكتبة
دار الشيرات
شاعر المعجزة - القاهرة



shiaabooks.net

رابط يدیل < nuktba.net

القاهرة
مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير - عابدين

رقم إيداع دار الكتب

٤٨٧١ لسنة ١٩٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا العمل ، عن عبد الله بن رواحة ، الأنصاري الخزرجي ، ابتداءً بمحاولة جادة لجمع شعره من المصادر المطبوعة ، وربما وقفنا على بعض مخطوطات المطبوع ، بقصد التثبت أو التصحيح ، ولم نوفق بعد العثور على مخطوط ديوانه ، وليس الأمل قوياً في العثور عليه . وهذه المحاولة لا يمكن أن يدعى فيها الكمال بحال ، وإن كانت النية حريصة على ذلك . وهذه طبيعة الأعمال الأدبية ، فهي ، في مثل هذه الحالات ، لا تعرف الكلمة النهائية مطلقاً . وقد رتبنا الشعر الذي نسب إليه ترتيباً أبجدياً ، ذاكرةً مصدر كل نص أو مصادره ، ومناسبته ، مع ذكر اختلاف الروايات ، وشرح ما يحتاج إلى شرح ، ناسباً كل فضل إلى صاحبه .

وقد سبق ذلك وقفة سريعة عند الشعر الذي ينسب لابن رواحة وسواه في آن واحد ، مع تبين الرأي الراجح إن كان ذلك ممكناً . وتلى ذلك دراسة شعره الجاهلي فالإسلامي .

والحقيقة أن الحديث ممتع عن ابن رواحة الشاعر المحضرم ، ففي الوقت الذي ينطبق عليه تماماً في الجاهلية قوله تعالى « وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ينطبق عليه تماماً في الإسلام ، الجزئيات المقدمة من الآية نفسها في قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

حقاً لقد ضاع أكثر شعر ابن رواحة الجاهلي والإسلامي ، ولكن الذي وصلنا من شعره الجاهلي جميعه في النقائض ، وذلك النوع من الشعر الجاهلي كله نغز مقيت ، وهجو ، ومغالطات إلى آخر العناصر التي يتكون منها شعر النقائض ، وهو يصور الأوس والخزرج ، وهم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية آنذاك ، قصيرى النظر محدودى الإدراك . وأنا ، بإيرادى هذه الحقائق ، لأرید الإساءة إلى ابن رواحة أو سواء إنما أرید أن أقول : إننا حين ننظر إلى الانتقال الحسن الذى أحدثه الإسلام فى ابن رواحة وفى آلاف الشخصيات سواء ، فى هذه الفترة القصيرة جداً ، التى لا يكاد يصدقها عقل بشرى ، فإننا نستطيع أن نقول بكل اطمئنان : إن الإسلام أحدث أعظم انتقال خاطف ، إلى الحسن ، عرفته البشرية فى تاريخها الطويل .

وقد صهر الإسلام ، دين القوة والعزة والسلام ، الأمة العربية فى بوتقة واحدة . فبعد أن كان الأخ يصارع أخاه ولا يكاد يفكر فى سواء ، إذا بهم وقد صاروا مسلمين لله رب العالمين ، ينطلقون ، إدعائاً لأمره تعالى ، فى كل صوب يرفعون راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويأتون ، بعون الله ، وتوفيقه بالعجب العجاب . وهنا نستطيع أن نقول أيضاً . إن أمة الإسلام تستطيع أن تفخر بأن عندها القدرة لأن تقدم ترجمات دقيقة لآلاف الشخصيات التى لعبت أدواراً هامة ، بأسستها وأيديها ، فى الفترات المبكرة جداً من تاريخ الأمة الإسلامية . إنها فترات من الوضوح التام للدرجة التى يُتَعَذَّر وجود نظير لها من غير الإسلام . وتميز بعض هذه الشخصيات ، بسبب بعض الخصال التى تعرف بها ، والأدوار المتميزة التى لعبتها ، بالصور الواحدة التى نجد لها فى كل المصادر التى كتبت عنها . ومن بين هذه الشخصيات ، تبدو شخصية عبدالله بن رواحة ، مثال الشاعر المؤمن ، ظاهرة المعالم واضحة المقسمات .

وابن رواحة ، فوق ذلك ، واحد من ملايين الشهداء ، خلال التاريخ الإسلامي المجيد ، الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، وليس بخاف الوضع الأليم الذي تعيشه الأمة الإسلامية هذه الأيام . . ونحن إن أردنا أن نزيل هذه الوصمة عن جبيننا ، وقطعاً نحن نريد ، فإن استطعنا أن نرضع أطفالنا روح الجهاد في سبيل الله ، جنباً إلى جنب مع لبن بُدِيّ الأمهات فلنفعل . ونسأل الله عز وجل أن نسمع في القريب العاجل عن كتائب جيش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقد اندفعت في كل اتجاه كي تعيد الحق إلى نصابه . ونحب أن نقول بهذا الصدد إن هذه الكتائب حينما توجد ، فستكون الهدف الأهم لكل أعداء الله أينما وجدوا . ونحب أن نقول أيضاً : إن هذه الكتائب حينما توجد ، فإننا وقتها فقط نستطيع أن نقول : لقد أوشكنا أن نقطع الخطوة الأولى في الطريق الصحيح ، الطويل جداً ، المليء بالمخاطر . « وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » صدق الله العظيم . وفي الختام أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد في القول والعمل ، إنه على ما يشاء قدير .

د . حسن محمد باجوده

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة

مكة المكرمة } السبت ، الرابع والعشرون
من شهر صفر عام ١٣٩٧ هـ

فهرست بالموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
ج	المقدمة
ز	فهرست بشعر ديوان ابن رواحة
١	تمهيد
١	نبذة عن عبد الله بن رواحة .
٢	شعر عبد الله بن رواحة .
٩	دراسة شعر عبد الله بن رواحة الجاهلي .
٩	شعر النقائض ودور عبد الله بن رواحة فيه .
١١	قصيدة قيس بن الخطيم في يوم معبس ومضرس .
١٨	النقائض ويوم القضاء .
٢٩	النقائض ويوم البقيع
٣١	النقائض ويوما حاطب وبعاث .
٤١	دراسة شعر عبد الله بن رواحة الإسلامي .
٤٣	روح إسلامية .
٥١	الرجز وحفر الخندق .
٥٢	الرجز وعمرة القضاء .
٥٥	شعره وغزوة مؤتة .
٧٦	رموز المصادر والمراجع .
٧٧	ديوان عبد الله بن رواحة .
١١٠	خاتمة
١١١	فهرست بالمصادر والمراجع

فهرست بشعر دیوان ابن رواحه

منها

- إذا أذيتني وَخَلَّتْ رَحْلِي مسيرة أربع بعد الحساء ٧٩
 لعمري لقد حَكَّتْ رَحِي الحرب بعدما أطارت لُؤْيَا قبل شرقاً ومغرباً ٨١
 يا قيس أنتم شرارُ قَوْمِكُمْ قدماً ، وأنتم أغنهم نسباً ٨٢
 أشاقتك ليلى في الخليلط الجانبِ نعم فرشاشُ الدُّعَى في الصدرِ غالي ٨٣
 رميناك أيامَ الفجارِ فلم تزل حياً فمن يشرب فلست بشاربِ ٨٦
 يا نفس إلا تَقْتُلِي ————— تموتُ ٨٧
 لكنني أسألُ الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ٨٨
 تذكر بعد ما شَطَّتْ نَجُوداً وكانت تَيْمَّتْ قلبي وليدا ٨٩
 رحم الله نافع بن بُذَيْلٍ رحمة المبتغى ثواب الجهاد ٩٢
 نخبروني أئمان العباء متى كنتم بطاريق أودانت لكم ضمرُ ٩٣
 يا رسول المليك أن لسانِي راتقٍ ما فتقتُ إذْ إنا بورُ ٩٥
 فلم أر كالإسلام عزاً لأهله ولا مثل أضياف الأراشي معشراً ٩٥
 لو لم تكن فيه آيات مبدئة كانت بداهته تنفيك بالخبرِ ٩٥
 كذبت لقد أقت بها ذليلاً تُقيمُ على الهوان بها وتسرى ٩٦
 وفينا رسولُ الله يتلو كتابه إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطعُ ٩٦
 فسرنا إليهم كافة في رحالم جميعاً علينا البيض لا تتخشمُ ٩٦
 شهدتُ ولم أكذبُ بأن محمداً

رسولُ الذي فوق السماوات من علُ ٩٧

لما رأيتُ بني عوف وإخوتهم كعباً، وجمع بني الفجار قد حَلَفُوا ٩٧

صفحة

بمكت عيني وحق لما بُكاهما وما يُفنى البكاء ولا المويل ٩٨

يازيدُ زيدَ العملاتِ الدُّبُل

خلف السلامُ على امرئٍ ودعته في النفل خير مشيخٍ وخليلٍ ١٠٠

خلوا بني للكفار عن سبيله

جلينا الخليل من أجأ وفرع مُفرَّ من الحشيش لما المُكوم ١٠٢

أتاني الذي لا يُقدر الناس قدره لزيف فيهم من عقوق ومائم ١٠٤

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين ١٠٦

ياربُّ لولا أنت ما اهتدينا ١٠٦

ياشم الإله وبه بدينا ١٠٧

أقسمت يا نفس لئنزلته ١٠٨

وعدنا إياها سفيان بدرأ فلم نجد لمعاده صدقا وما كان وافيا ١٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

نبذة عن عبد الله بن رواحة : (١)

هو (٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور ، يكنى أبا محمد . ويقال : كنيته أبو رواحة ويقال : أبو عمرو (٣) ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة ، خزرجية أيضاً . وليس له عقب من السابقين الأولين من الأنصار . وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة .

« وهو خال النعمان بن بشير ، وكان عبد الله يكتب في الجاهلية ، وكانت الكتابة في العرب قليلة وهو صاحب المناقب المذكورة في الإسلام والأيام المشهورة (٤) » وكان في الجاهلية عظيم القدر في قومه ، سيداً من ساداتهم ، وكان يناقض قيس بن الخطيم ، الشاعر الأوسى الجاهلي (٥) .

(١) ترجمته في ابن عساكر ٣٨٧/٧ والخزانة ٢/٢٦٤ والإصابة والاستيعاب والمؤتلف والمختلف « في ترجمته » .

(٢) الإصابة ٢/٢٩٨ .

(٣) لعل الأخيرة هي الصحيح ، فهي التي جاءت في كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ص ٢٨٩ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣٨٧/٧ .

(٥) انظر طبقات ابن سلام ص ١٨٦ ، والإصابة (في ترجمته) ٢/٢٩٩ ومعجم الشعراء .

وكما كان الإسلام في مجره ، في حاجة إلى الذين يدافعون عنه بأنفسهم وأموالهم . كذلك كان في حاجة إلى الذين يدافعون عنه بالسنتهم وأفكارهم ومشاعرهم ، فقد انبرى عدد من مشركي شعراء مكة والطائف يهاجمونه وقد أنزل الله في حق هذه الفئة قوله « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » وأنهم يقولون مالا يفعلون ^(١) وقد فهم شعراء المدينة المنورة الحسنون « الذين كانوا يذودون عن الإسلام ، ويردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة بأن هذه الأبيات تشملهم . فقد « قال عبد الله : قد علم الله أني منهم » ^(٢) فأنزل الله تعالى ^(٣) « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ^(٤) .

شعر عبد الله بن رواحة :

لعبد الله بن رواحة شعر في الجاهلية والإسلام . ولم يحدث خلاف في نسبة الشعر الجاهلي القليل الكمية له لوضوح الدور الذي قام به مع قيس بن الخطيم بالذات ، فهو خزرجي وابن الخطيم أوسى . وكان دورهما في النقائض واضعاً . وفي مثل هذه المواقف توجد عادة فئات تحفظ شعر الأول في جانب « والثاني في جانب آخر وقد يوجد من يعنى بشعر الجانبين ويحرص على ترديده . فقد روى مثلاً عن طويس ، المغني المدني الأموي المشهور ، الذي كان يضرب به المثال

(١) الشعراء آيات ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ .

(٣) الشعراء آية ٢٢٧ .

(٤) انظر تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ والاستيعاب ٢ / ٢٨٥ والخزانة

فيقال : أشأم من طويس^(١) أنه كان ولعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء قُلَّ مجلس اجتمع فيه هذان الحيان ففنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء . فنهى عن ذلك فقال : والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب ، وذلك لكثرة تولع القوم به فكان يُبذَى السرائر ويخرج الضغائن ، فكان القوم بقشاهمون به^(٢) .

وإذا تأملنا شعر ابن رواحة الجاهلي « وكله في النقائص ، فإنه يتضح لنا أنه وصلتنا » بين هذا الشعر ، قصيدة واحدة كاملة فقط ، هي النقيضة الدالية ، ومطلمها .

تذكر بعد ما شطَّتْ نجودا وكانت تيمت قلبي وليدا

ولو نظرنا إليها من حيث السكم لانضح لنا أنها تزيد في العدد على قصيدة ابن الخطيم التي جاءت في نفس الوزن والقافية « والتي أراد ابن رواحة نقضها وكل شعر ابن رواحة الجاهلي الباقي يرد به على آخرين . فإذا اتخذنا رغبة ابن رواحة في كون نقيضته أطول من قصيدة خصمه قياساً على هذه القصيدة الوحيدة السكاملة « أو على أقل تقدير تسكون في حدود عددها ، وعرفنا أن قصائد ابن الخطيم بالذات وصلتنا في ديوانه كاملة ، فإننا نستطيع عن طريق هذه المقارنة أن ننتهي إلى أن أكثر شعر ابن رواحة الجاهلي قد ضاع . لأن هذه النقائص لم تصلنا كاملة من ناحية ومن ناحية أخرى لم نوفق بعد في العثور على مخطوط ديوانه الذي نعتقد أنه يتضمن شعراً جاهلياً كثيراً للدور البارز الذي كان يلعبه ابن رواحة بيده ولسانه ضد الأوس .

(١) انظر مجمع الأمثال للبيدائي .

(٢) غ « ق » ٢ / ١٧٥ .

أما شعره الإسلامي الذي لصق به ولم يكذب ينسب لغيره فهو الشعر الذي يرتبط بأعمال إيجابية معينة قام بها ابن رواحة صاحب الدور البارز في صدر الإسلام . وهناك أشعار ليس لابن رواحة في مناسباتها أدوار إيجابية بل اقتصر على الانفعال فالتعبير ، وهنا نجد ابن رواحة مظلوماً في هذا المجال . فنحن نظن أن لابن رواحة أشعاراً من هذا القبيل لم يصلنا بعضها ، واختلط البعض الآخر بشعر المعاصرين له ، وبالأدات جسان بن ثابت وكعب بن مالك . ونحن نظن من ناحية أخرى أن ابن رواحة « بشأن شعره الملازم لأعماله الإيجابية محظوظ . فقد وصلنا هذا الشعر في أحسن الصور الممكنة . ومن الأمثلة على ذلك شعره منذ توجهه إلى مؤته حتى استشهاده . ونحن نعتقد أن هنالك العديد من الشعراء المعاصرين له الذين كانت لهم أمثال تلك الأنواع من الشعر ومع ذلك هي لسوء الحظ لم تصلنا .

وسنحاول أن نمر سريعاً على الشعر الذي نسب له ولغيره ، مبينين ، في إيجاز « رأينا ما أمكن .

هناك أولاً الشعر الذي ليس لابن رواحة في مناسباته أدوار إيجابية ، وقلنا إنه مظلوم بشأنه ، فهو ينسب له حيناً وببساطة لا يلبث أن ينسب لسواه . هذه الظاهرة تلاحظ بالنسبة لما يلي .

المقطوعة التي مطلعها :

لعمري لقد حَكَتْ رَحَى الحَرْبِ بعدما أَطَارَتْ لَوْيا قَبْلُ شَرْقاَ وَمَغْرِباً
فهي تنسب لكعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة .

وهذان البيتان :

رحم الله نافع بن بَدِيل رَحْمَةً المَبغْيَى ثَوَابَ الجِهَادِ
صَابِرٌ صادقٌ وفِي إِذَا مَا أَكْثَرَ القَوْمِ قال قول السدادِ

اللدان ينسبان مع ثالث إلى حسان في ديوانه .

وهذا البيت :

بكت عَيْبِي وحق لما بكأها وما يُغْنِي البكاء ولا العويل

وهو مطلع قصيدة من ستة عشر بيتاً تنسب لابن رواحة وكعب بن مالك وينسب بمضاهي لحسان . والثلاثة الأبيات التي أولها :

شهدت ولم أكذب بأن محمداً رسولُ الذي فوق السماوات من علِّ

فإن الأول والثالث يرويان لحسان بن ثابت أيضاً والأبيات الثلاثة ضمن مقطوعة في ديوان حسان .

والمقطوعة التي مطلعها :

أتانى الذى لا يقدر الناس قدره لزئيب فيهم من عقوفٍ ومائمٍ
فقد رجح ابن هشام نسبتها لأبي خيثمة ، مالك بن قيس الأوسى .

والمقطوعة التي مطلعها :

وعذنا أباسفنيان بدرأ فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيّاً
فقد رجح ابن هشام أيضاً أنها لكعب بن مالك . والحقيقة أن البيت في أمثال هذه المواقف ليس سهلاً ميسوراً . مالم ندرس بعق شعر ابن مالك وحسان ، على أقل تقدير ، وهذا لم ينس لنا بعد .

أما هذه الأرجوزة التي وصلتنا أخيراً في هذا العدد وأمکن جعلها في هذه الصورة :

(١) يا نفس إلا تقتلى تموتى

(٢) هذا حمام الموت قد صليت

- (٣) وما تمنيت فقد أعطيت
 (٤) إن تفعل فعلهما هديت
 (٥) إن تسلمى اليوم فلا تفوتى
 (٦) أو تبلى فطالما عوفيت
 (٧) وإن تأخرت فقد شقيت
 (٨) هل أنت إلا إصبع دميت
 (٩) وفي سبيل الله ماليت

فبعد دراسة مصادرها لوحظ أن أكثر المصادر قدما اكتفت بالأبيات الأربعة الأولى . وفيما يتصل البيتين الأخيرين ، فالمعروف أن ابن رواحة إنما نظم هذه المقطوعة من الرجز قبل أن يستشهد في مؤنة ، ولم نسمع أن إصبعه دميت قبل نظمه لها . ثم إن البيتين الأخيرين لم ينسبا في المصادر القديمة لابن رواحة ، ولكن نعيده ، فعلى سبيل المثال نسبا في سيرة ابن هشام للوليد بن الوليد ابن المغيرة في مناسبة نظمها أكثر ملائمة . ونحن نرجح أن هذين البيتين ليسا لابن رواحة ، وأنهما الحقا بالأرجوزة الأصلية للاتفاق في النافية ، ويبقى بعد ذلك الأبيات ٥ ، ٦ ، ٧ وقد جاء الأولان مع ١ ، ٢ ، ٣ في حماسة البحترى . والأخير مع ١ - ٩ ، ٨ ، ٤ في ابن عساكر فسكان الخامس عند البحترى حل محل الرابع عند غيره ، ومن الناحية الفنية لا يتأتى وجودهما معاً في هذه الصورة .

ومن ثم نحن نستغنى بالرابع لوجوده في المصادر الأكثر قدما عن الخامس . ولا نرى بأسا في الإبقاء على السادس والسابع ، فليس لدينا مبرر لرفضهما

تاريخياً أو فنياً، وإن كنا نلاحظ بصفة عامة أن عدد أبيات الرجز في تلك الفترة محدود . ثم إن موقف ابن رواحة في مؤنة آنذاك ليس مهيئاً له للإفاضة في النظم . ويمكن أن تكون الأرجوزة أخيراً في هذه الصورة :

(١) يا نفس إلا تقتلى تموتى

(٢) هذا حمام الموت قد صليت

(٣) وما تمنيت فقد أعطيت

(٤) أن تفعلنى فطالما هديت

(٥) أو تبتلى فطالما عوفيت

(٦) وإن تأخرت فقد شقيت

وهذا البيت :

يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتق إذ أنا بور

جاء في التاج « بور » بصدده أنه يظن نسبته لابن رواحة « والواقع أنه ليس له البتة ، لأنه لا يتمشى كلية مع موقف ابن رواحة من الإسلام وإيمانه المعروفين . وهو من قصيدة في السيرة منسوبة لعبد الله بن الزبيرى الشاعر المكي ، وهذا هو الصحيح .

وهذا البيت :

لو لم تكن فيه آيات مينة كانت بداهته تنبيك بالخير

ينسب له ولحسان . وليس أحدهما أولى بنسبة هذا البيت إليه من

الآخر :

وهذا البيت :

فَإِسرْنَا إِلَيْهِمْ كَافَّةً فِي رَحَالِهِمْ جَمِيعًا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَتَخَشَّعُ
هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي السَّيْرَةِ لَكُعبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ .

أما بيتا الرجز هذان :

(١) يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَمَعَلَاتِ الذُّبُلِ

(٢) تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَاتَزَلْ

فقد رجح البغدادى بما لا يدع مجالاً للشك في صحة نسبتها لابن رواحة
أما مقطوعة الرجز التي مطلعها :

خَلَوْا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

والتي قال فيها ابن هشام نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن
ياسر في غير هذا اليوم (يريد ليس في يوم عمرة القضاء ، وإنما في يوم صفين)
والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين . والمشركون لم يقرؤا
بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل . فقد رد على ذلك
العلامة الأستاذ محمود شاكر بقوله ، ليس المراد بالتأويل في البيت تفسير
الكلام الذي تختلف معانيه ، بل التأويل هنا ، هو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ،
ومصير المؤمنين ، إلى ما وعدم به ، كما في قوله تعالى : هل ينظرون إلا تأويله
يوم يأتي تأويله وعليه فالأرجوزة صحيحة النسبة لابن رواحة . أما الأرجوزة
التي مطلعها :

يَا رَبِّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا

والتي تنسب لابن رواحة وعامر بن الأكوع معاصره ، فالواقع أنها يمكن
أن تصدر من كل منهما ، فليشكل باع في الرجز .

دراسة شعر عبد الله بن رواحة الجاهلي

شعر النقائض ودور ابن رواحة فيه :

عرف عبد الله بن رواحة بأدواره الجيدة في الإسلام ، حتى ليكاد يظن أنه ليس له علاقة بالجاهلية. والواقع أنه من شعراء الخزرج المعضرمين المعدودين وبتأمل شعره الجاهلي القليل الكمية ، تبين أن كله من النقائض ، ذلك النوع من الشعر الذي كان مزدهراً في بيئة بثرب قبل الإسلام ، بحكم الصراع العنيف الدامي بين الأوس والخزرج . وقد نظم ابن رواحة ذلك الشعر في جملة ردأ على قيس بن الخطيم الشاعر الأوسى الجاهلي .

وهناك عدة ملاحظات نود أن نقدمها بين يدي دراستنا لشعر ابن رواحة الجاهلي في النقائض . ويمكن أن تكون نافعة بشأن دراسة شعر النقائض لكل .

(١) شعر النقائض معناه عادة أن ينظم شاعر قصيدة متغنياً فيها باقتصار قومه ، مشيداً بأبجادهم ، مفتخراً بهم ، مديحاً مثالب أعدائه ، معطفاً على الملامح هاجياً لهم . فيعمد شاعر القوم الآخرين إلى تفنيد دعاواه .

(٢) إن الشاعر الذي يبدأ النظم له مطلق الحرية في اختيار البحر والقافية اللذين يريد ، وانتقاء اللغز وعرضها في الصورة التي يهوى . والموضع الذي يشتهي ، وليس للشاعر الآخر شيء من هذه الحرية . وفوق ذلك ، هو مفروض عليه أن يقتبع معاني الشاعر الأول بالنقض والتفنيد وأحياناً يستعير معجمه اللغوي .

(٣) إنَّ الشاعر الذي يبدأ بالنظم « ينطلق عادة من نقطة قوة ، إضافة إلى الحرية السابقة التي يتمتع بها . فقيس بن الخطين مثلاً في القصيدة الدالية ، وجد من انتصار قومه الأوس على الخزرج في يوم القضاء ، حافزاً له على أن ينطق ، وفي أعمالهم الجيدة مادة صالحة لأن تعلن على الملأ ، بالإضافة إلى فرحه الطبيعي بانتصار قومه على الأعداء . كل هذه الحقائق طبعت قصيدته بطابعها . تماماً كما طبعت الهزيمة قصيدة ابن رواحة .

(٤) إنَّ تفوق شاعر أحد الجانبين على الآخر في نقيضه أو أكثر لا يعنى بالضرورة تقدمه المطلق وتفوقه على خصمه ما لم تكن هناك أسباب أخرى تنقض بذلك .

في ضوء هذه الملاحظات ألقينا نظرة متأنية على شعر ابن رواحة في النقائض فنتبين أنه دائماً يقتنع قصيدة خصمه بالنقض . بما في ذلك يوم معتبس ومضر من الذي انتصر فيه الخزرج على الأوس انتصاراً ساحقاً . فإن ابن الخطين نظم قصيدة رائية بعد ذلك اليوم « وقد نقضها ابن رواحة . ووصلتنا قصيدة ابن الخطين كاملة ولم يصلنا من نقيضه ابن رواحة سوى بيت واحد ، لا يقدم ولا يؤخر ، وهو :

ككذبت لقد أقمت بها ذليلاً تقيم على الهوان بها وتسرى
ومعنى هذا أن ابن رواحة يقوم دائماً بدور المدافع « وينطلق من نقطة الضعف باستمرار . ومطلع قصيدة ابن الخطين :

ألم خيال ليلي^(١) أم همرو ولم يلم بن ————— إلا لأمر

(١) ليلي التي شجب بها ابن الخطين أخت عبد الله بن رواحة .

وقصيدة ابن الخطيم هذه من أكثر القصائد التي نظمها الحيان في الجاهلية دلالة على العداء المتأصل بين الحيين « وتمشيًا مع قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار « أَلَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَذَا كَمِ اللَّهِ » وعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ » وأَعْدَاءُ فَأَلَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ »^(١) وذلك بعد أن أعطى في قریش وقبائل العرب من أموال هوازن ولم يعط الأَنْصار شيئاً ، اطمئناناً منه صلى الله عليه وسلم لإيمانهم « فوجدوا في أنفسهم ، لأنه بَدَّدَ عليهم مَغْزَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

والواقع أن قصيدة ابن الخطيم هذه تتأثر بمرارة الهزيمة وتعكس وضع الأوس القلق في يثرب بعد هذه الحرب ، لدرجة أنهم عزموا على مفارقة يثرب إلى غير رجعة^(٢) .

وبما أن هذا اليوم ، انتصر فيه الخزرج « وطبيعى أن يتأثر كل من مشاعر الخزرج والأوس بهذه النتيجة ، وبما أن شعر ابن رواحة في هذا اليوم لم يصلنا وأن الذى وصلنا ، في غير هذا اليوم من شعر ابن الخطيم « الذى تقضيه ابن رواحة ، مبعثه البهجة بانتصار الأوس ، وأن هذا اليوم مبعث حسرة وألم لابن الخطيم ، تماماً كما كانت الأيام الأخرى مبعث حسرة وألم لابن رواحة ، فهما من الوجهة النفسية سواء ، لهذا نحن نؤثر هذه القصيدة بشيء من العناية ، كي نقبين تأثر مستوى القصيدة فنياً بانخفاض الروح المعنوية للشاعر وارتفاعها .

قصيدة قيس بن الخطيم في يوم معبس ومضرس .

ابتداً ابن الخطيم القصائد بالنسيب في ثلاثة أبيات هي :

أَلَمْ خِيَالٌ لَيْلَى أَمْ عَمْرُو وَلَمْ يَلْمِ بَنَاتُ إِلَّا الْأَمْرُ

(١) السيرة ٤٩٩/٢ .

(٢) أثر يوم معبس ومضرس ٦٧٧/١ .

تقول ظميتى لما استقلت أترك ما جمعت صريم سحر
فقلت لها ذرىنى إن مالى يروح إذا غلبتهم ويسرى

هذه المقدمة تتأثر بنتيجة الحرب التى فى غير صالح قوم الشاعر « فآلم به خيال محبوبته ليلى أم عمرو » الذى عوده أن يزوره حينما يكون هناك أمر جلل ، وبما أن العادة جرت أن يتذكر الإنسان آخر عهد له بمن يهوى ، إذا لم يكن سبب معين يقضى بغير ذلك ، لهذا تخيل الشاعر هذه المحبوبة ، وقد استقلت هودجها لائمة له على أضحيتها بكل ما جمع ، وبأسه من جدواه ، وانشغاله بسواه فيعجبها بأنه إن قدر له أن يهزم الخزرج « ويثأر لهزيمة يوم معبر ومضرّس » فإن سوامه وقتها ، ستجد العناية التامة « والحرية المطلقة . وهكذا نلاحظ العلاقة الوثيقة بين حالة الشاعر النفسية والنسيب الذى صبغته تلك النفس بصبغتها ولم تطل الحديث فيه لانشغالها بما هو أهم .

وقد ابتدأ حديثه فى الموضوع الأساسى فى القصيدة مشيراً إلى تصميمه وتصميم قومه على الأخذ بالثأر .

فلستُ لحاصن إن لم ترونا نجالدكم كأننا شربُ خمر

إنه هو الناطق باسم الأوس « وهو يقدم بين يدى ما عزموا عليه من الأخذ بثأرهم من الخزرج بأنه ليس ابن امرأة عفيفة حصان إذا لم يترجم الأوس هذه النية عملاً ، ولم تروهم يمالدونكم وكأنهم لاندماجهم فى المعركة واندفاعهم فى كل جهة « واستهاتهم بالموت » وضربهم فى كل شق وناحية من اقوا من الخزرج « أولئك الذين انتشوا من الخمرة فأكسبتهم جرأة وشجاعة إلى جرأتهم وشجاعتهم . والواقع أن العلاقة بين الخمرة التى يشربها اليمريون والشجاعة

معارف عليها آنذاك » فهذا حسان بن ثابت يقول مثلاً^(١) :

ونشرها ففتر كفا ملوكا وأسدا ما ينهزمنا اللقاء

وبيت ابن الخطيم بالإضافة إلى ذلك يشير إلى مدى حرص العربي على الإشادة بطهارة النسوة اللاتي أنجبهن . وعموماً هذا البيت يدل على فضل قوة عند الأوسيين مصدرها الكبرياء الجروح » إذ أتى بعد البيت مباشرة

وتحمل حربهم عنا قريش كأن بنانهم تفربك^(٢) بسر

وتدرك في الخيزارج كل وتر بدم السكاهنين وذم عمرو

فهم بعد هزيمتهم النكراء في هذا اليوم ، طلبوا المساعدة من القرشيين بمكة ، وإن انكسار نفسية ابن الخطيم وضعف روحه المعنوية يجعلانه لا يمانع في إلقاء العبء الأكبر على قريش في أخذ الثأر للأوس من الخزرج . وهذا يدل على المنزلة العسكرية التي يتمتع بها القرشيون إضافة إلى المنزلة الروحية . ويلاحظ أن الشاعر يشبه أيدى القرشيين التي سالت عليها دماء الخزرجيين بالسر الأحمر المستوى » وهو من منتوجات ثرب الزراعة . وهذا البيت من أكثر الوثائق صحة في الدلالة على ضعف الأوس عسكرياً بعد هذا اليوم . وفي هذه القصيدة أبيات أخرى تؤكد هذا كما سنرى .

حقاً ، قد انهزم الخزرج أكثر من مرة أمام الأوس » ولكن لم نسع عن نية الخزرج يوماً من الأيام في مفادرة بثرب بعكس الأوس . وهذا يدل بالإضافة إلى العديد من النصوص الموثوقة على أن الخزرج تتقدم الأوس في العدد والعدة .

(١) الديوان ص ٨ .

(٢) أصل الفرق : ذلك الشيء حتى يتقاع قشره عن لبه كالجوز . التاج .

والشطر الأخير يدل على أن قريظة والنضير ، حلفاء الأوس عادة ، تخلوا عنهم ووادعوا الخزرج بعد يوم معبس ومضرس ، بل أنهم بعثوا للخزرج دليلاً على عدم وقوفهم مع الأوس ضدهم أربعين غلاماً من أبنائهم رهناً^(١) كما تخلى عنهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ووادعوا الخزرج . ولم يسيروا مع بني عبد الأشهل وبني ظفر من الأوس إلى مكة ليطلبوا حلف قريش على الخزرج . وهذا يدل على أن بطون الأوس وحلفاءهم ليسوا دائماً جبهة واحدة أمام الشدائد . وهو مالا ينتظر من بطون القبيلة الواحدة ومن الأحلاف .

وهنا نقسم : هل أبلغ الأوس في هذا اليوم عذرهم ؟ والجواب بالإيجاب حيث يقول ابن الخطيم :

زَجَرْنَا النخْل والأطام حتى إذا هي لم تشيعنا لزجر
 هما بالإقامة ثم سرنا كسبر حذيفة الخير ابن بدر
 ففي أول البيتين يشير إلى أنه هو وقومه قد بذلوا منتهى طاقتهم ، وطلبوا المساعدة من كل مظانها ، واستحثوا كل أصحاب النخل والأطام ، وحينما لم يتلقوا ما أملوا هموا بأن ينتظروا في ثرب حتى تلتئم جراهم كي يعاودوا الخزرج الحرب مرة أخرى ثم بدا لهم فانطلقوا في سرعة خاطفة وتسكتم إلى مكة معلنين العمرة مبيتين النية على التحالف مع القرشيين . ويجعل الشاعر سرعة حذيفة بن بدر الفزاري مقياساً لسرعتهم ، وكان أغار على هجائن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، وسار في ليلة واحدة مسيرة ثمان .

وبقر الشاعر إلى مجدهم التليد « ورصيدهم القديم :

ورثنا الجدد قد علمت معد فلم نُقلب ولم نسبق بوتر

ويشير إلى بأسهم الشديد الذى يعرفه الخزرج والذى يظهرونه لهم مرة أخرى فى أول فرصة تتاح لهم .

متى تلقوا رجال الأوس تلقوا لباس أساود وجلود نمر

فالأوس دائماً مدججون فى السلاح ، يثير منظهم القشعريرة فى النفوس والرهبة فى القواد ، ومن يدخل معهم فى حرب يعلم يقيناً أن الموت مرتبط بهم ، تماماً كما يرتبط بأعظم الحيات خبثاً وأشد الحيوانات افتراساً وأكثرها بطشاً ، ويشير إلى حروبهم التى تبدأ فى الصباح الباكر وتستمر النهار بطوله . ويفخر بأنهم صدق عند اللقائهم .

ونصدق فى الصباح إذا التقينا ولو كان الصباح جحيم جمر
وجملة التقينا نفيد أنهم أميل لأن يلتقوا بالأعداء وجهاً لوجه . ويأتى بعد ذلك البيت الذى يعتبر من أبلغ الوثائق فى الدلالة على الذل الذى كان فيه الأوس بعد يوم معبس ومضرس .

ألا أبلغ بنى ظفر رسولا فلم ندلل بيثرب غير شهر
وهو ذل يدل على العداء الذى كان متصلاً فى نفوس أفراد كل من الحيين والبيت التالى يبين السبب الذى انهزم من أجله الأوس ، ولماذا لزمهم الذل ذلك الشهر ، ذلك أن حلفاءهم وأصدقاءهم من العرب واليهود قد خذلوهم دون عذر . وهم ملومون بسبب ذلك اللوم كله :

خذلناه وأسلمنا الموالى وفارقنا الصريح اغير فقر
ومع ذلك فهم أخذوا شيئاً من حقهم فى المعركة قبل الهزيمة . تماماً كما

أخذوا حقهم من بنى سعد بن بكر . وهذا دليل على أن حروبهم ليست مقصورة على الخزرج .

أبحنا المسبغين كما أباحنا يمانونا بنى سعد بن بكر
والأبيات التالية تشير إلى ما يمكن أن يصادفه الأوس فيما لو قدر لهم
أن يغادروا يثرب . وهى كما أسلفنا ، من أدق الوثائق فى الدلالة على الضعف
العسكرى والمعنوى اللذين كان فيهما الأوس .

فإن نلحق بأبرهة اليماني ونعمان يوجهن^(١) وعمر
وان نزل بذى النجدات كرز نلاق لديه شرباً غير نزر
له سجالان ، سجال من صريح وسجل تركة بعقيق خمـر
ونمنع ما أرادوا لا يعانى مقيم فى الحلة وسط قصر
وإن تغدر بنا غطفان نردف نـاءهم ونقتل كل صقر
وواضح أنه يشير إلى احتمال نزولهم مبجلين على أصدقائهم أينما كانوا
فهناك أبرهة بن الصباح اليماني من ملوك حمير والنعمان بن المنذر وهما
من ملوك الحيرة ، أو عمرو بن الحارث الأعرج ، من ملوك غسان فى الشام
وهناك كرز الأعنة ابن عامر بن عبد الله من بجيلة من قحطان ، السكريم
الذى سيروينا بلبنه الصريح وخمره المعتق المصفق بماء الفدير . إننا سنسكون
معهم يداً واحدة على عدوهم ، متمتعين بما يتمتعون به من حرية وعزة . وهناك
أخيراً غطفان ، حلفاؤنا ، الذين نتظر منهم ما ينتظر من الحليف ، أما إذا

(١) يوجهن : يجعل لنا جاها .

أرادوا أن يقدروا بنا ، فإننا قادرون على -عربهم وقتل ابطالهم وسبي نساءهم -
ومع أن ابن الخطيم ، ذكر أكثر من قوم سيرحل إليهم الأوس ، إلا أنه
خص بعض اليمنيين بالذكر . بل إنه ابتداءً بأبرهة اليماني ، وقد يكون في ذلك
دليل على أ كبار الأوس لأصلهم اليماني ، واهتمامهم بالأنساب ، ولا نفى أنه
قال من قبل :

أبحنا المسبيين كما أباحت يمانونا

يريد كما فعل قومنا اليمنيون .

ويختتم القصيدة بهذا البيت الذي فيه شيء كبير من الثقة في النفس
والاعتداد بها :

فنحن النازلون على المنايا ونحن الآخذون بكل ثغر

إننا أناس شجعان ، مهما كنا على ثقة من خطورة المكان الذي نزل ،
ولو كانت بمثابة الموت الزوأم ، فلا يمكن أن ننكص أو نتردد . ونحن
المرابطون القادرون على حماية كل الحدود المخوفة المتاخمة الأعداء .

وهكذا يتبين لنا من دراستنا للقصيدة السابقة أن الهزيمة قد أثرت فعلا في
نفسية ابن الخطيم ، شاعر الأوس وفارسها في الجاهلية ، فهو يعترف بالهزيمة والذل
تارة ، ويوعد بالأخذ بالثأر أخرى . ويستعين بالقرشيين في سبيل ذلك .
ويفر إلى الماضي المجيد . ويشير إلى رغبة قومه في مفارقة يثرب إلى غير رجعة .
والضرب في الأرض الواسعة ، حتى ينزلوا على بعض أصدقائهم الذين سيكون
جوارهم خيراً من جوار أبناء عمومتهم الخزرج . كل هذه الحقائق نافعة لنا

شعر

حينما قدّرس شعر ابن رواحة الذي صادف أن نفسيته في كل شعره الجاهلي في
النقائض كنفسية ابن الخطيم .

وسوف نقبين مستقبلاً أن مستوى شعر ابن الخطيم فنياً يرتفع بارتفاع روحه
المعنوية لانتصار قومه .

النقائض ويوم الفضاء :

من الألام التي التقي فيها الأوس والخزرج وكان النصر فيها للأوس يوم
الفضاء ^(١) وقد قدر لقيس بن الخطيم ، شاعر الأوس ، أن ينظم قصيدة دالية ،
يسجل فيها هذا الانتصار ، معيراً الخزرج ، مفتخراً بقومه الأوس ، وقد نظم
عبد الله بن رواحة ، نقيضة لهذه القصيدة في نفس الوزن والقافية ومطلع
قصيدة قيس :

صرمت اليوم جبلك من كنودا ^(٢) لتبدل جبلها جبلاً جديداً
ومطلع قصيدة ابن رواحة :

تذكر بعد ما شطت نجوداً وكانت تيمت قلبي وليداً
وقد خصص ابن الخطيم ، مقدمة قصيدته للنسيب الذي جاء في خمسة أبيات .
ومن حقنا وقد عرفنا أن الشاعر قد نظمها سعيداً بانتصار قومه ، أن تعقد رابطة
نفسية بين النسيب وموقفه من هذا الانتصار . وواضح أن موقف الشاعر من

(١) موضع بالمدينة « وهو لبني خطمة » ويفضى إليه سبل بطحان ، وبه يلتقي
سبل مهزور ومذيذب « وهو ممدود وقد يقصر .

(٢) الكنود بالفتح : المرأة الكفور للمودة .

هذه المرأة الكفور لمودته موقف الند للند . فهو يبادلها قطعة بقطعة وججوداً بجود . إن موقف الشاعر من المرأة في هذا النسب التقليدى ، إنما ينطلق ، دون أن يشعر من موقف الانتصار العسكرى الساحق وكأنه اتخذ من هذه المرأة الكفور للمودة رمزاً للنصر الذى طالما تمناه ، وسعى وراءه جاهداً ، وبذل في سبيله كل ما يملك . وهو لا يزداد مع الأيام في التسويف إلا تمادياً . وحينما قدر للنصر أن يتحقق في يوم القضاء ، كان الشاعر مستعداً لأن يذوب فيه ويفنى « استعداد الذى بلغ منه اليأس من محبوبته منتهاه » لأن يذوب في أخرى قدمت له كل ما يتمنى . لقد وجد في نفسه المرأة لأن يكمل ما بدأت المرأة الجعود من قطع حبال المودة بينهما . وكأنى بالشاعر في الشطر الثانى « إنما يتخذ من الحبلى الجديد ، الذى يعنى به المرأة الأخرى الحبة له » رمزاً لعهد الجديد بالانتصار الذى تحقق بعد طول انتظار وبأس .

وقد يؤيد هذه الرابطة النفسية بين النسب ونتيجة المعركة أن موقف ابن رواحة في النسب من المرأة التى يهوى مغاير لموقف ابن الخطيم . فقد كانت نفسيته منكسرة ، وبالتالى هو في نسبه ضعيف الموقف منكسر الخاطر ، لا يخطر بباله أن يفسر بعد محبوبته عنه قطعة متعمدة منها « فضلاً عن أن يبادلها ذلك . إنما يتخذ منها موقف العاشق المذنب الذى هذه صفته دائماً كما سرى .

ويستمر ابن الخطيم في نعت محبوبته :

من اللامنى إذا يمشين هوناً تجلبين الجاسد والبرودا

كأن بطونهن سيوفُ هند إذا ما هن زالين الغمودا

فهذه الحبوبة من طراز ممتاز من النساء ، مترفات منعمات ، حينما يضطرون ،

يمشين للفعمة التي هن فيها بتؤدة وبطء ، لابسات أحسن أنواع الثياب لوناً ونوعاً ، إن بطونهن ، لرشاقتن ، وصفاء ألوانهن ، كسيوف الهند التي غادرت لتوها الأغناد . ويستمر متغزلاً ببعض أعضائها « ولعله يربط بين جيدها ووجهها وبين أول العهد بها من ناحية « والوجه خاصة » وآخر العهد بها من ناحية أخرى » يقول :

تَبَدَّتْ لِي لَتَقْتَلِي فَأُبَدْتُ مَعَاصِمَ فَخْخَةٍ مِنْهَا وَجِيداً
وَوَجْهًا خِلْمُهُ لَمَّا بَدَأَ بِغَدَاةِ الْبَيْنِ دِينَاراً نَفِيداً

لقد كان منها أول الأمر تَمَرَّضَ له ، فأبدت له عن معصمها القبلين الممثلين « وجيدها الأغيد ، ووجهها الجميل الذي يبدو لصفائه كالدينار الجيد النقي . وكان لفرحه وقت إقبالها عليه مستعداً لأن يتحول ببصره في كل ما تبدى له منها « وحينما أدبرت عنه ، غداة البين « لم يستطع لوجوهه وتبلده « أن يتحول ببصره عن وجهها .

فإذا انتقلنا إلى الموضوع الرئيسي ، نجد ابن الخطيم ابتداءً يسجل نتائج المعركة « يقول :

سَمِينَا بِالْفَضَاءِ كُؤُوسَ حَنْفٍ بَنَى عَوْفٌ وَأَخَوْتَهُمْ تَزِيدَا

وبلاحظ أنه يلجأ إلى حاسة الذوق حينما يتحدث عن عض المعركة للاعداد لأن هذه الحاسة لا يكاد يختلف الذائقون في نتائجها . وكذلك الحرب لا يكاد يختلف المتحاربون في حقيقة طعمها المر « المنتصرون والمهزومون على السواء » ولكن مرارة طعمها بالنسبة لابن الخطيم هنا قد ضاعت في غمرة الفرح

بالانتصار « أو لعله تعتمد إلصاقه بالأعداء إضافة إلى مرارة الهزيمة . ويبدو في هذا الشطر « سقينا بالفناء كثوس حتف » غمرة الفرح التي داهمت الشاعر ، وسكر النصر الذي خامره ، ومرارة الألم الذي عض الأعداء « واستفحال القتل الذي تمكن منهم » وغصص الموت التي تجرعوها ، فهو يأتي بالكثوس في صيغة الجمع مضافة إلى « حتف » . والمعروف أن الكأس في اللغة لا يطلق عليها ذلك إلا إذا كانت ممتلئة « وحينما يأتي بها في صيغة الجمع فذلك دليل على أن كثوس الحتف كانت بعدد القتلى . كما يأتي بالفعل سقى الذي يرتبط به عادة كمية لأبأس بها من السائل . ومعروف أن عملية الذوق ، التي يقوم بها القليل من السائل ، وافية بالعرض من هذا الاتجاه « على حد قول زهير :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وقول أبي قيس ، صيفي بن الأسلت ، الأوسى الجاهلي :

من يذق الحرب يجد طعمها مرًا ونحبسه بحمّ جاع

ولكن ابن الخطيم يستعمل الفعل « سقى » الأكثر متفناً لأحقاده « مسمياً مكان المعركة « معيناً فرعين من الخزرج كان حظهم في الحتف أكثر من حظ سواهم .

وانتقل ابن الخطيم بعد الإجمال إلى التفصيل :

لقيناهم بكل أخى حروبٍ بقود وراه جمعا عتيدا

ومشرفة التلائل مضمرات طوى أحشائها التعماء قودا

فهو يشير في أول البيتين إلى الأعداد العالية من الأبطال « الذين ينزلون من الحروب منزلة الإخوة لطول ممارستهم لها ، والذين يقودون وراهم كتائب

الأوس المستعدة تمام الاستعداد . وكأني بالشاعر يسجل هنا توزيع الأوس لكتائبهم على هيئة الخبث ، وقد يدل ذلك على بقاء كل فرع من الأوس متميزاً عما سواه مستقلاً بناحية من النواحي ، مسئولاً عن التقدم أو التمهتر فيها ، وسواءً كان هذا المراد أم ذلك فالغفر مقصود من الشاعر .

وفي البيت الثاني ينعت الأفراس بأنها مرتفعة الأعناق طويلتها وهذا دليل على ضخامتها وأصالتها . وبأنها مضمرات قد أعدت لمثل ذلك اليوم . قد طوى أحشاءها العدو . فليس غريباً عليها مثل ذلك الصراع والمجهود الذي كان عليها أن تبذله آنذاك .

ويتحول مخاطباً الخرج في صيغة الاستفهام الانكاري قائلاً :

هل بلغ بكم الحق للدرجة التي أخذتم تعقدون فيها بأن حرب الأوس كسهولة حصولكم على البئر الفاسد المغبر وأكله هو وحب الحنظل الذي تطبخون . لقد ضل رأيكم وتبين لكم أنكم حق بسبب هذا الظن . يقول :

أكنتم تحسبون قتالَ قومي كأكلِكم الفقايا^(١) والهبيدا

وواضح أن بيتاً كهذا فيه شيء كبير من الاعتداد بالنفس والخط من شأن الأعداء بوصمهم بسوء التقدير وضعف الهمة . ولا يخفى مافى ذلك من المغالطة أيضاً ، فإن هذا النوع الرديء من التمر وحب الحنظل الذي يطبخ إنما يلجأ إليهما ويتخذهما طعاماً الخرج وغير الخرج إذا كانت هناك مجاعة ، خاصة وأن بيئة يثرب خصبة وما أسهل أن يجد الضعيف فيها من التمر ما يسد رمقه ومعروف أن الخرج تتقدم الأوس في العدد والطاقة . ولا يخفى أن الشاعر

(١) الفقى : داء يقع على البسر مثل الفبار .

يتخذ من انهزام الخزرج في هذا اليوم متنفساً لأحقاده التي ورثها من الآباء والأجداد .

وإذا كان الشاعر في تسجيله للنتيجة مجمل أولاً قد خص بني عوف وإخوانهم تزيذ « بسقيهم كثوس الموت ، لأن نصيبهم أكثر من نصيب سواهم ، فإنه عاد الآن إلى تبين نصيب رفاقهم من الخزرج في ذلك اليوم يقول :

أصاب القتلُ ساعدةَ بن كعبٍ وغادر في مجالسها قروداً^(١)

وقد رُدَّ العزائم في طريفٍ وأقيان^(٢) يصوغون الحديداً

وإن سيوفنا ذهبَت عليكم بني شمر الخنئ مهلاً^(٣) بعيداً

ويأبى جَمْعُكُمْ إلا فرارا ويأبى جَمْعُنَا إلا وروداً

وإن وعيدناكم حين نمشي بهنَّ على المنون ولا وعيداً

فبنو ساعدة بن كعب ، نالوا نصيبهم من سيوف الأوس ، وقد انعكس أثر الهزيمة في مجالسهم فباتوا وكأنهم القروذ ذلة وانكساراً . أما بنو طريف ابن الخزرج بن ساعدة فقد كانوا هم وباقي الخزرج الذين يتقنون صوغ الحديد ولا يجيدون استعماله غرضاً لعزيمات الأوس المركزة . إن هذه الفئة من الخزرج تقن هذه الحرفة الحظيرة في نظر ابن الخطيم « وربما يشاركه هذه النظرة سواء ؛

(١) التاج : أقرد الرجل : لصق بالأرض والقاموس وأقرد : سكت وسكن وذل وتماوت .

(٢) جمع قين ، وهو الحداد ، وفي الأصل «وأقيال» والقييل : الملك من ملوك حمير . ولا يتمشى هذا المعنى مع ما يريده الشاعر .

(٣) المهل ، بالتحريك : التقدم .

أما هو وقومه فإنهم يجيدون استعمال الآلات التي تصاغ من هذا الحديد ،
السيوف بخاصة ، التي نالت من الخزرج « أعرق الناس خشاً » أقصى ما يمكن
أن ينال . وكانت النتيجة أن أصر الخزرج على الفرار ، وهو إصرار قد أرغوا
عليه لإصرار الأوس على التقدم . وهذا نتيجة حتمية للانتصار . وقد ثبت
للخزرج أن وعيد الأوس حينما يمشون في عزيمة وإصرار وفي أيديهم السيوف
التي تنثر الموت ثراً ليس له نظير .

وفي هذا البيت :

ألا من مبلغ عني كمياً فهل ينهك أثبك أن تعودا

استخفاف من ابن الخطيم بكعب ، ولعله كعب بن مالك الشاعر الخزرجي
الذي يأتي به في صيغة تصغير التحدير . مستفهماً في لهجة غير المتأكد عما إذا
أصبح عند كعب من العقل ما يمنعه أن يتورط مستقبلاً في حرب مضمونة الهزيمة
كهنده . ويبدو أن ابن الخطيم يرجح عدم استفادته من هذا الدرس القاسي ،
تماماً كما لم يستفد قومه من قبل يقول .

أراني كلما صدّرتُ أمرا بنى الرقعاء^(١) جشمكم ضعودا

فالخزرج في نظر ابن الخطيم في عماية دائمة وضلالة مستمرة . لا يخرجون
من ورطة حاكها ابن الخطيم لهم إلا ليقعوا في أخرى ، لأنهم ورثوا الحق من
أهمهم الحقاء ، ولا يخفى أن الشاعر يخالط هنا . فأم الخزرج والأوس واحدة
لهذا يقال لهما ابنا قبيلة .

ويقلب على البيتين الأخيرين طابع الفخر :

(١) الرقعاء : الحمقاء . والصعود العقبة انشاقة .

فأبقت سيوف الأوس منكم وخذ طُباتها إلا شريد
فلن تنفك نقتل ماحيينا رجالكم ونجملكم عبيدا

وهنا مبالغة كهادة شاعرنا ، إذ يزعم أنه لم يبق من الخزرج بفعل سيوف الأوس الماضية سوى الهاربين ، ويعلن عن نيته ونية قومه في استئصال البقية الباقية منهم مستقبلا . أو أن يضربوا عليهم ذل العبيد الدائم الذي ليس وراءه ذل .

نقيضة ابن رواحة :

وكا بدأ ابن الخطيم قصيدته بالنسيب ، كذلك بدأ ابن رواحة نقيضته . وقد أشرنا من قبل إلى أن نتيجة المعركة أثرت في موقف الشعارين من المراتين اللتين يهويان ، فإن رواحة ضعيف الموقف من محبوبته ، بعكس ابن الخطيم يقول :

تذكر بعد ماشطت نجودا وكانت نيمت قلبي وليدا
كذي داء يرى في الناس يمشى ويكتم داءه زمنا عيدا
تصيد غرة الفتيان حتى تصيدهم ، وتشتأ أن تصيدا
فقد صادت فؤادك يوم أبدت أسىلا خذه صلتا وجيدا
ترين معاود اللبات منها شنوفا في القلائد والفريدا
فإن تصنن عليك بما لديها ويصبح حبل نائلها جديدا
لعمرك ما يوافقني خليل إذا ما كان ذا خلف كنودا

إن موقف ابن رواحة من محبوبته قبل البعد وبعده واحد ، إنه الحب لها

مع أنه يتظاهر بغير ذلك ، كالمريض الذى يماشى الناس ويكتم داءه . ولقد كملت محاسن هذه المحبوبة ، فهى تصادف دائماً من الفتيان هوى ، ويقعون فى أشراك حبها دون قصد منها لذلك أو رغبة . وهذا ما فعلته مع ابن رواحة حين صادت قلبه يوم بدا منها وجهها الجميل وخدها الأسيل وجبينها الواضح وجيدها الأغيد . وقد أضفت لآياتها لتوهجها جمالا إلى القلائد التى تتقلدها والحلى التى تضعها فى أعلى أذنيها « والامر الذى نظم وفُصل بغيره فى جيدها .

ونحن نستطيع أن نعقد رابطة نفسية بين النصر الذى تهادى فى ابتعاده وبين المحبوبة التى هذا فعلها . إن موقف الشاعر منها واحد هو عدم الموافقة ولكنه لا يستطيع بصدد المحبوبة أن يتخذ موقفاً آخر أكثر إيجابية . والحقيقة أن الهزيمة طبعت قصيدة ابن رواحة بطابعها ، وليس ذلك وفقاً على النسب . لتأمل هذه الأبيات التى يفر فيها ابن رواحة إلى تسجيل رصيد الخرزج من المجد سابقاً .

وقد غام القبائل غير فخر	إذا لم تالف مائلة ركودا
بأننا تخرج الشتوات منا	إذا ما استعصمت حسباً وجودا
قدورا تفرق الأوصال فيها	خضيباً لونها بيضاً وسودا
متى ما تأت يثرب أو تردها	تجدنا نحن أكرمها جدودا
وأغلظها على الأعداء ركنا	وألينها لباغى الخير عودا
وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر	وأقصدها وأوفاه عودا

إذا ندعى لثأر أو الجار فنحن الأكثرون بها عديدا
متى ما تدع في جشم بن عوف تجدني لا أعم ولا حيودا
وحولى جمع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديد
إننا لو تأملنا أبيات ابن الخطيم التي يفخر فيها فخراً مباشراً ويهجو هجواً
مباشراً . وقارناها بهذه الأبيات لا تضح لنا فرار ابن رواحة من حاضره إلى
ماضيهِ ، فهو يفخر بالكرم ، وأن القبائل تعرف هذه الظاهرة فيهم . خاصة
في أوقات المجاعة . إذ تنقشر الجفان الضخام الثقيلة المملوءة لحماً وشحماً والتي
يبرق داخلها لفرط العناية به ، ويسود خارجها لكثرة تعرضه للنار .

كما يفخر بأنهم أعز من سكن يثرب ، وأغلظ الناس ركناً على الأعداء
وألينهم عوداً لطلاب الخير . وأفصحهم كلاماً وقت المنافرة . وأكثرهم عدلاً
وأوفاهم عهداً . وأسرعهم لأخذ الثأر أو حماية جار .

فما علاقة كل هذا بفخر ابن الخطيم وهجومه المباشر على الخزرج ؟
إن كل الذي سبق رصيد جماعى للخزرج . أما البيتان التاليان فرصيد فردي
لابن رواحة :

متى ما تدع في جشم بن عوف تجدني لا أعم ولا حيودا
وحولى جمع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديد
لقد عرف بن رواحة بين قومه بأنه ليس غليظ الجانب عليهم ولا متعاشيا
للمستغيث وطالب المعروف ، وبأن بنى ساعدة وتيم اللات يلتفون حوله في
عددهم الحربية التامة .

ويأتى أول بيت يحيب فيه ابن رواحة قيس بن الخطيم مباشرة :
زعمتم أنما نلتم ملوكاً ونزعم أنما نلنما عبيداً

لقد تفنى الأوس بانتصارهم على الخزرج ، فعمد ابن رواحة في بيت المقارنة الضعيف إلى المغالطة فجعل من انتصار الأوس على الخزرج وتفنى الأوس بذلك دليلا على المنزلة العالية التي يتمتع بها الخزرج والتي تصل بهم إلى مصاف الملوك . وجعل انتصار الخزرج المعتاد على الأوس شيئا هيئناه لهُوان الأوس الذين ينزلهم الخزرج منزلة العبيد ، وهل اهتم الخزرج لغير الأوس والأوس لغير الخزرج ؟ ويستمر مغالطا في البيت التالي :

وما نَبَيْتُ من الأحلاف وترا وقد نلنا من المسود والمسودا
إنه يهون من انتصار الأوس ، فليس هناك حاجة إلى الأخذ بالثأر . بل
إن الخزرج أخذوا — ثأرهم من الأوس وأحلافهم في المارك السابقة التي
قتلوا فيها منهم المسود والمسود . وكان الماضي حلاله فاستمر غارقا فيه :

وكان نساؤكم في كل دارٍ يَخْدُشْنَ المعاصم والحدودا
تركنا جعجعي كبنات ققع وعزفاً في مجالسها قعودا
ورعط أبى أمية قد أبجنا وأوس الله أتبعنا ثمودا

ولماذا يَخْدُشُ النساء المعاصم والحدود ؟ للجزع الذي اتها بهن بسبب
الهزيمة التي حاقت بقومهن ، والذل الذي لحق بهن وبرجالهن . لقد قتل
البعض « وحل الهوان بمن نجا من القتل فلا يستطيعون ، لخزيهم مفادرة
مجالسهم .

أما اليهود الذين أخذوا نصيبهم من عض المعركة ، والذين يقلب عليهم
الوقوف جانب الأوس فإنه يخصهم بهذا البيت :

وكفتم تدعون يهوداً مالا الآن وجدتم فيها يهوداً ؟
وإذا كان ابن الخطيم سبق أن قال :

وقد رد المزائم في طريف وأقيان بصوغون الحديد
فإن ابن رواحة « في نهاية قصيدته يتأثر بابن الخطيم في صورة ما
فيقول :

وقد ردوا الغنائم في طريف^(١) ونحّام ورهط أبي يزيد
فكأنه يقول : إن الأوس وحلفاءها ، خاصة من اليهود « على الرغم
من تصميمهم سابقاً على الانتصار إلا أن النتائج كانت دائماً في غير صالحهم .
وبعد دراستنا لكل من القصيدتين نستطيع أن نقول : إن ابن الخطيم ،
لا انتصار قومه كان قادراً على النطق « بعكس ابن رواحة ، الذي ينطبق عليه
تماماً قول عمرو بن معد يكرب :^(٢)

فلو أن قوس أنظقتي رماحهم نطقتُ ولكن الرماح أجرت^(٣)

النقائض ويوم البقيع :

والتقت الأوس والخزرج ببقيع الفرقد^(٤) فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكان

(١) هناك رواية أخرى للشطر « وقد ردوا المزائم في طريف » .

(٢) الحماسة ص ١٦٢ .

(٣) والإجزار : أن يشق لسان الفصيل فيجعل فيه عويد لثلا يرضع أمه .

(٤) يوم البقيع بعد يوم القضاء وقبل يوم معبس ومضرس . والفرقد : شجر عظام ،
أو هي الموسج إذا عظم « واحده غرقدة وبها سموا .

الظفر يومئذ للأوس فقال عبيد بن نافع الأوسي : (١)

لما رأيت بني عوف وجمعهم جاءوا وجمع بني النجار قد حفلوا (٢)
 دعوت قوس وسهلت الطريق لهم إلى المكان الذي أصحابه حللوا
 جادت بأنفسها من مالك عصب يوم اللقاء فما خافوا (٣) ولا فشلوا
 وغاوروكم (٤) كبشوس الموت إذ برزوا شطر النهار وحتى أدبر الأضل
 حتى استقاموا وقد طال المراس بهم فكلمهم من دماء القوم قد نهلوا
 تكشف البيض عن قتلى أولى رحم لولا المسالم والأرحام ما نقلوا
 تقول كل فتاة غاب قيمها (٥) أكل من خلفنا من قومنا قتلوا ؟
 لقد قتلتهم كريماً ذا محافظة قد كان حالقه الفينات والحلل
 جزل نوافله حلوا شمائله ريان واغله (٦) تشقى به الإبل

والذي جاءنا من ردا بن رواحة عليه بيتان هما :

(١) أثير ١ / ٦٧٣ « يوم البقيع » -

(٢) حفلوا : جاءوا مجتمعين في هيئة السيل الآتي - يقال : حفل الوادي بالسيل واحتفل : إذا جاء ببلد جنبيه .

(٣) هكذا بالأصل « ولا وجه له ، ولعل الصحيح « فما خاموا » بالميم بمعنى لم يجبتوا ولم ينكصوا .

(٤) التماور : التداول ، وهو عام في كل شيء ، يقال : تماورت الرياح رسم الدار أي تداولته . والأصل ، بضمين ، جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب

(٥) القيم على الأمر : متولية - وقيم المرأة : زوجها .

(٦) أثير « الواغل : الذي يدخل على القوم وهم بشرى » -

لما رأيتُ بني عوف واخوتهم كعباً وجمع بني النجار قد حفلوا
قَدِماً أباحوا حماكم بالسيوف ولم يفعل بكم أحد مثل الذي فعلوا
وواضح أن رواحة يقتنع سواء ، وينطلق من نقطة الضعف المعتادة نفسها
وبالمقارنة البسيطة بين البيت الأول لعبيد بن نافع :

لما رأيتُ بني عوف وجمعتهم جاءوا وجمع بني النجار قد حفلوا
وبيت ابن رواحة الأول :

لما رأيتُ بني عوف واخوتهم كعباً وجمع بني النجار قد حفلوا
بتبين لنا إلى أي حد يكون الشاعر الثاني متقبعاً لخطي الشاعر الأول .
وبتأمل بيت ابن رواحة الثاني يتضح لنا فراره إلى الماضي .

الفنائض ويوما حاطب وبعاث :

هناك تقيضتان باثنتان نظمها ابن الخطيم بعد يوم بعاث، يفخر فيهما يانتصار
الأوس في يوم بعاث ويشير إلى يوم حاطب أيضاً . ومطلع الأولى :
أتعرف رسماً كاطراد المذاهب لعمره وحشاً غير موقف راكب
ومطلع الثانية .

رد الخليطُ الجمال فانقضبا ^(١) وقَطَمُوا من وِصَالِكَ السَّيْبِ
وقد نقضهما ابن رواحة .

وأول ما يلاحظ على القصيدة الأولى وتقيضتها لابن رواحة ومطلعها :

(١) انقضب : انقطع .

أشأقتك ليلي في الخليلط المجانب نعم فرشاش الدمع في الصدر غالبي
هو أن عدد أبيات قصيدة ابن الخطيم ثمانية وثلاثون بيتاً ، بينما عدد
الأبيات التي وصلتنا من قصيدة ابن رواحة خمسة عشر بيتاً ، ويمكن أن يكون
هذا البيت الذي جاء منفرداً :

رميناك أيام الفجار فلم تزل حَمِيماً فمن يشرب فلست بشارب
من هذه المقطوعة ، وفيه يخاطب ابن رواحة ابن الخطيم كما جاء في ابن
الأثير ، فيكون بين أيدينا ستة عشر بيتاً ، بمعنى أن العدد يقل عن نصف
قصيدة ابن الخطيم ، وهذا مما يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أن كثيراً
من شعر ابن رواحة الجاهلي لم يصلنا .

ويلاحظ على أبيات ابن رواحة أنها تبدأ بالمقدمة الغزلية التي جاءت في
أربعة أبيات .

والتأمل لهذه المقدمة يقين أن الشاعر في موقفه من المرأة التي يهوى بتأثر
بموقف الضعف والهزيمة التي كانت من نصيب قومه الخزرج في معركة بعاث
وقد كانت آخر الحروب بين الأوس والخزرج في الجاهلية ومن أهمها إن لم
تكن أهمها فعلاً . ومع أنه يعين اسم محبوبته ليلي التي يقال إنها أخت قيس
ابن الخطيم ، إلا أن الشاعر قد خلع عليها صفة الهجر له والبعد عنه ، مع قومها
الذين ارتحلوا « ولذلك أخذ يبكي » على حد زعمه ، حتى مضى أول النهار ،
وحتى بل صدره « بسبب الحزن الذي تمسكن منه » والإعياء الذي حل به .
وحينما حان وقت الرواح آبت إليه همومه التي كانت متفرقة في كل صوب على
حد قول شاعر^(١) .

أَفْصَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى وَبِجَمْعِي وَالْهَمِ بِاللَّيْلِ جَامِعٍ
وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الْحَبِيبَةَ لَمْ تَبَادَلْهُ وَدَّ بُوْدُ ۝ وَلَا أَمَلٌ عِنْدَهُ فِي أَنْ تَبَادَلَ ذَلِكَ
مُسْتَقْبَلًا ، إِلَّا أَنَّهُ يَجِدُ نَفْسَهُ ضَعِيفًا أَمَامَهَا دَائِمًا وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْفِكْرَةُ الشَّائِعَةُ
مَنْ أَنَّ كُلَّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ . وَسَبَبُ هَذَا الضَّعْفِ الْهَزِيمَةُ الْمُنْكَرَةُ الَّتِي حَاقَتْ
بِقَوْمِهِ فِي بَعَاثٍ وَالتِّي أَثَرَتْ بِالتَّالِي فِي نَفْسِيَّتِهِ . يَقُولُ فِي الْمَقْدَمَةِ :

أَشَاقَتَكَ لَيْلِي فِي الْخَلِيطِ الْجَانِبِ نَعَمْ فَرَشَاشِ الدَّمْعِ فِي الصَّدْرِ غَالِبِي
بِكِي إِثْرٌ مِنْ شَطَطِ نَوَاهٍ وَلَمْ يَتَفَ لِحَاجَةٍ مُحْزُونٍ شَكَا الْحُبِّ نَاصِبِ
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ وَرَاحَ لَهُ مِنْ هَمِّهِ كُلِّ عَازِبِ
نَبِينٍ فَإِنَّ الْحُبَّ يَلْقَى مَدْبِرًا قَدِيمًا إِذَا مَاخَلَهُ لَمْ تَصَاقِبِ
وَكَيْ يَتَضَحُّ تَأْثُرَ النَّسِيبِ بِالنَّصْرِ أَوْ الْهَزِيمَةِ ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَمَّلَ الْمَقْدَمَةَ الْغَزَلِيَّةَ
لِقَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ^(١) الْمَذَاهِبِ لَعْمُورَةٍ وَحَشًّا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبِ
دِيَارِ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنَى تَحِلُّ بِنَا^(٢) لَوْلَا نَجَاءُ الرَّاكِبِ

(١) أَطْرَادُ : اِفْتِعَالٌ : مِنْ قَوْلِكَ اطْرُدْ ، إِذَا تَتَابَعَ . يُقَالُ : اطْرُدِ الْقَوْلَ وَالْمَاءَ ، إِذَا
تَتَابَعَ . وَالْمَذَاهِبُ : جُلُودٌ كَانَتْ تَذْهَبُ ، وَاحِدُهَا مَذْهَبٌ ۝ بِالضَّمِّ ، تَجَمُّعُهَا فِيهَا
خُطُوطٌ مَذْهَبَةٌ بَعْضُهَا فِي أَثَرِ بَعْضٍ فَكَأَنَّهَا مُتَتَابِعَةٌ . فَيَقُولُ : يَلُوحُ رَسْمُهَا كَمَا
يَلُوحُ هَذَا الْمَذْهَبُ .

(٢) تَحِلُّ بِنَا ۝ تَجَمُّعُنَا نَحْلًا وَنَزَلَ ، عَاقِبَتِ الْبَاءُ الْهَمْزَةُ . حَلَّ بِهِ الْمَكَانَ وَأَحْلَاهُ الْمَكَانَ ۝
بَنَصْبِ الْمَكَانِ فِيهِمَا ۝ أُنْزَلَهُ . وَالنَّجَاءُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ . يَقُولُ : كَادَتْ عَمْرَةٌ أَنْ
تَحْمِلَنِي عَلَى الْإِقَامَةِ أَبَدًا فِي مَنَى ، مِنْ شِدَّةِ قَتْنِي بِهَا وَحَجِي لَهَا ۝ وَلَوْلَا نَفْرَةُ النَّاسِ
عَنْ مَنَى بَعْدَ قَضَاءِ حُجَّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ إِلَى بِلَادِهِمْ لَكُنْتُ خَلِيقًا أَنْ أَقِيمَ . هـ .
الطَّبَقَاتُ ص ١٩٠ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ .

تبذت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب^(١) منها وضنت بحاجب
ولم أرها إلا ثلاثاً على منى وعهدى بها عذراء^(٢) ذات ذوائب
ومثلك قد أصيبت ليست بككنة ولا جارة ولا حليلة صاحب

وواضح أن هذه المقدمة فيها حكمة وحيوية وإيجابية وخاصة قوله « ومثلك
قد أصيبت » فيبدو هنا اعتداد الشاعر بنفسه وإحساسه بثقل وزنه . ولا نشك
أن هذه القوة في هذه المقدمة مصدرها القوة عسكرياً .

ويتصل بموقف ابن رواحة الضعيف من الوجهة النفسية ، أنه حينما تراكم
عليه الهموم يفر إلى ناقته التي يمتطيها ، ويحتملها على قطع المسافات الطويلة وسبق
سواها المتعلقةات أعينها بالسياط خوفاً من أن تنهال عليها للأعياء الذي تمكن
منها « الفائرات أحداقها بسبب قطع المسافات الطوال . وليس يبعد عن أذهاننا
قول طرفة :

وإلى لأمضى الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرّقال تروح وتفتدى
يقول ابن رواحة :

كسوت فتودى عرماً فنصاتها تحبّ على مستهلكات لواجب
تبارى مطايا تنقى بعيونها مخافة وقع السوط خوص الحواجب

وبابتداء البيت السابع يبدأ الموضوع الأساسي في المقطوعة . وإذا تأملنا

(١) حاجب : جانب .

(٢) عذراء : حديثه « وإنما أراد : عهدى بها ولم تبلغ أن ينالها الرجال .

(٣) الككنة ، بالفتح : امرأة الإبن « أو الأخ » والجمع ككائن .

ما قاله ابن رواحة فإننا نجد في الحقيقة بفر من الحديث في الواقع إلى أشياء أخرى بعيدة عنه بعداً يبتغا .

فعدنهم نقي ، وليسوا كثيرهم الذين يشعرون بعد الجود لما صاروا إليه من الشدة والجهد ، ومضارب سيوفهم غير مذمومة ولا راجعة عليهم إلا بالقناء والوصف الحسن ، وهم يدفعون عن مجدهم التليد بإعطاء أحسن ما يملكون مما ورثوا للفقراء والمحتاجين . وحلومهم راجحة ، وشوكتهم قوية ، وشجاعتهم نادرة ، واستعدادهم لخوض المعارك دائم . سلاحهم السيوف الماضية والصبر الذي يتحلون به دائماً ، يقول :

إذا عُرِّتْ أحسابُ قومٍ وَجَدْنَا ذوى نائلٍ فيها كرام المضارب
نحامي على أحسابنا بتلادنا لمفتقر أو سائل الحق راغب
وأعنى هَدَنَهُ للسبيل حلومنا وخصم أقنأ بعد مالبج شاغب
ومعترك ضنك ترى الموت وَسطه مشينا له مشى الجمال المصائب
بحرس ترى الماذي فوق جلودهم وبيضاً نقاء مثل لون الكواكب
فهم جُسُرٌ تحت الدروع كأنهم أسود متى نفض السيوف تضارب
معاقلهم في كل يوم كرهية مع الصبر منسوب السيوف القواضب

ويأتى بعد ذلك البيتان اللذان يجيب فيهما ابن الخطيم :

نغترم بجمع زاركم في دياركم تغافل حتى دوفعوا بالرواجب
أباح حصونا ثم صمد يبتنى مظنة حى في قريظة هارب
وكأنى بابن رواحة بفر إلى يوم سابق انتصر فيه الخزرج على الأوس .

انتصاراً ساحقاً حتى إن الأوس دفعوا ببطون مفاصل أصول الأصابع الخزرج عنهم بعد أن تعطلت الأسلحة . وفي ذلك اليوم أباح حصون الأوس ثم توجه بعدها حيث الأمكنة التي يظن أن قريظة الهاربة قد اختبأت فيها . وحتى البيت الذي نرجح أنه أساساً من هذه القصيدة ، والذي يخاطب فيه ابن الخطيم .

رمينك أيام الفجر فلم تزل حياً فمن يشرب فلست بشارب

فإن ابن رواحة يفر فيه إلى الماضي « فقد كان ابن الخطيم ، يوم الفجر الأول للانتصار ، في حائط له ، فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال فمجز عن أخذ سلاحه إلا السيف ثم خرج معهم « فعظم مقامه يومئذ « وأبلى بلاء حسناً وجرح جراحة شديدة ، فسكت حيناً يتداوى منها ، وأمر أن يحتفى عن الماء ^(١) فإن رواحة يعيره بما ألحق الخزرج به ذلك اليوم .

وليتضح لنا الفرق بين النفسيتين « لتتأمل شيئاً مما قاله ابن الخطيم في قصيدته عن حرب حاطب والحديقة وبعث ، يقول :

دعوت بني عوف ^(٢) لحقن دماهم فلما أبوا ساحت في حرب حاطب
أنت عصَبُ الكاهنين ^(٣) ومالك وتعلبة الأثرين رهط ابن غالب

(١) أنير ١ / ٦٧٦ .

(٢) يريد : عمرو بن عوف بن الخزرج . وساحت : تابعت . وحاطب : حليف لهم قتل ، فكان بينهم حرب في قتله .

(٣) الكاهنان : قريظة والنضير . وتعلبة : هم بنو تعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس . والأثر : بسكون العين وضمها وكسرهما : الرجل الذي يستأثر على أصحابه أي يختار لنفسه أفعالا وأخلاقاً حسنة .

رجال متى يُدْعَو إلى الموت يرقلوا^(١) إليه كإرقال الجمل المصاعب
 إذا فرغوا مدوا إلى الليل صارحاً^(٢) كوج الآتى المزبد المتراكب
 ترى قصد^(٣) المران تهوى كأنها تذرغ خرسان بأيدى الشواطب
 صبحنا بها الآطام حول مزاحم^(٤) قوانس أولى بيضنا كالسكواكب
 لو أنك تلقى حنظلاً فوق بيضنا تدرج عن ذى سامه^(٥) المتقارب
 إذا مافرنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب
 صدود الخدود والقنا مقشاجر ولا تبرح الأقدام عند التضارب
 إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب
 أجالدهم يوم الحديقة^(٦) حامراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

- (١) إرقال البعير : نوع من السير . والمصعب : الذى لم يمسه جبل ولم يذل .
 (٢) الصارح : المنيث . والآتى : السيل يأتيك ولم يصبك مطره .
 (٣) قصد : كسر . والمران : الرماح . والتذرغ : قدر ذراع ينكسر ، وكل قضيب
 أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سمف فهو خرص (مثله) . والشطبة :
 السمفة الطويلة . والشاطبة من النساء : التى تشققها وتأخذ قشرها الأعلى تعمل
 منه الحصر .
 (٤) مزاحم : أطم عبد الله بن أبى بن سلول . والقوانس « جمع قونس : الناقىء فى
 أعلى البيضة وإنما قال أولى ، لأنهم إنما يرون أول من يطلع عليهم .
 (٥) اللسان « سوم » « أى على ذى سامه وعن فيه بمعنى على » والهاء فى سامه ترجع
 إلى البيض الموه به « أى البيض الذى له سام . قال ثعلب : معناه أنهم تراصوا
 فى الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم على أملاسه واستواء أجزائه لم ينزل
 إلى الأرض .
 (٦) الحديقة : قرية من أعراس المدينة فى طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس
 والخزرج قبيل الإسلام . ياقوت . والمخراق : ما تلعب به الصبيان من الحرق
 الفتولة « وهو ما يسمى حالياً بالطرة .

ويوم بعاث اسلمتنا سيوفنا إلى نسب في جذم^(١) غسان ثاقب
 يرمين بيضا حين تلقى عدونا ويفمدن حمرا ناحلات المضارب^(٢)
 أطاعت بنوعوف^(٣) أميرا نهام عن السلم حتى كان أول واجب
 أويت^(٤) لعوف إذ تقول نساؤهم ويرمين دفعا ، ليقنا لم نحارب
 صبحناهم شهباء^(٥) يبرق بيضا تبين خلاخيل النساء الهوارب
 أصابت سراة الأغر^(٦) سيوفنا وغودر أولاد الإمام الحسواطب
 ومنا الذي آلى ثلاثين ليلة عن الخمر حتى زاركم بالكتائب^(٧)
 فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه وترك الفضاء شوركم في الكواعب

-
- (١) الجذم ، بالكسر : الأصل . وثاقب : مضى غير حامل . يقال : ثقت النار وأثقتنا أنا ، ورجل ثاقب الثقب والعلم . أصله : مضى متوهج .
 (٢) مضرب السيف ومضربه : نحو شبر من طرفه .
 (٣) بنو عوف : من الخزرج . وواجب : ميت . ورئيس بن عوف الذي يقصده هو عمرو بن النعمان البياض .
 (٤) أويت : رقت ورثت : ويرمين دفعا : أى يرميننا من فوق الآطام دفعا عن أنفسهن .
 (٥) كتيبة شهباء ويضاء : إذا كانت صافية الحديد : وتبين : أى يهربن فيحصرن عن أسوقهن .
 (٦) الأغر : هو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يريد أنهم قتلوا سراة القوم من الخزرج ، لأنهم أقرانهم وعفوا عن سواهم :
 (٧) هذا أبو قيس بن الأسلت .

رضيت لهم إذ لا يريمون^(١) قعرها إلى عازب الأموال إلا بصاحب
 فلم تمنعوا منا مكاناً نريده لكم محرراً إلا ظهور المشارب^(٢)
 فهلاً لدى الحرب العوان^(٣) صبرتم لو قمتنا، والبأس صعب المراكب
 ظأرناكم^(٤) بالبيض حتى لأنتم أذل من السقبان بين الحلائب
 ولما هبطنا الحرث^(٥) قال أميرنا حرام علينا الخمر ما لم نضارب
 فسامحه^(٦) منا رجال أعزة فما برحوا حتى أحلت لشارب
 فليت سويداً^(٧) راء من جر منكم ومن فر إذ يحدونهم كالجلائب

(١) يريمون : يرحون وينادرون : وعازب الأموال : هي الإبل والشاء التي تعرب
 عن أهلها في المرعى : وهذا البيت في الأصل قبل الذي يسبقه وقد جعلناه في
 هذا الوضع اقتناعاً بقول د : ناصر الأسد الذي قال عنه في وضعه الأصلي « ولم
 أتبين للبيت بهذا الترتيب » معنى يستقيم به : والأرجح عندي أن موضع البيت
 يجب أن يكون بعد بيت آخر ، كالبيت التالي له « فيه لفظ الآطام أو ما يشبهها ،
 ليرتبط بها الضمير في « قعرها » .

(٢) المشارب : الغرف .

(٣) العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .

(٤) ظأرناكم : عطفناكم على ما نريد : ويقال في مثل « الطمن يظأر » أي يعطف
 القوم على الصلح : السقبان ، جمع سقب « وهو الذكر من أولاد الإبل : والشطر
 الثاني مثل في الميدان رقم ١٥٠٤ .

(٥) الحرث : موضع من نواحي المدينة .

(٦) سامحه : تابعه .

(٧) هو ابن الصامت الأوسى ، كان قتله المجذور بن زياد حليف الخزرج ، فقتله بعد
 أن أسلم الحارث بن سويد « فقتل النبي صلى الله عليه وسلم الحارث صبراً : وراء :
 أراد رأى قلب : وهناك رواية أخرى : ومن خر منهم : والجلائب : الجماعات
 من الحيل والإبل والغنم والناس ، والواحد جلوبة « وهي ما جلب من شيء .

فأبنا إلى أبنائنا ونسائنا وما من تركنا في بعث بآب
وعُيِّيت عن يوم كنتي عشريني ويوم بعث كان يوم التغالب^(١)

ونحن في غنى عن أن نقول : إن ابن الخطيم « في هذه القصيدة » يتقدم
ابن رواحة ولكننا نضيف بأن ابن رواحة لا زال ينطلق من نقطة الضعف
نفسها « نقطة الهزيمة » .

أما قصيدة ابن الخطيم الثانية فتقع في خمسة وعشرين بيتاً ، ولم يصلنا من
نقض ابن رواحة لها سوى ستة أبيات يهاجم فيها ابن الخطيم مباشرة .
وقد عودنا ابن رواحة أن يبدأ نقيضه بالمقدمة الغزلية ، ثم ينتقل إلى
موضوعه الأساسي ولم يصلنا شعر الغزل « فعنى هذا أن مقدمة هذه القصيدة
قد ضاعت . ثم إنه قد عودنا في الدالية أن تكون قصيدته أطول من قصيدة
خصمه ، فعنى هذا أن أكثر أبيات هذه القصيدة قد ضاع . وأبيات ابن
رواحه هي :

يا قيس أنتم شرار قومكم قدماً وأنتم أغنهم نسبا
حالقم الفحش والخيانة والـ بخل جميعاً واللؤم والكذبا
يا قيس إن الأسلاب أحرزها من كان يغشى الذوائب القضا
وأنت في الدار غير محتضر حرباً وتدعو قتالنا لعبا
لو كنت فيهم والحرب لاقحة لكنت فيهم مغلبا ذنبا
نحن استبقنا ما في دياركم يوم صبحناكم بها عصبا
فنحن بصدد سباب وهجو ونخر مقيت .

(١) جاء في الديوان بعد القصيدة « لم يكن قيس حضر يوم بعث » :

دراسة شعر
عبد الله بن رواحة الإسلامي

روح إسلامية :

إن شعر عبد الله بن رواحة « بعد بيعة العقبة ، إسلامي بكل ما تتحمل هذه اللفظة من معان . ونحن هنا سنحاول تناول هذا الشعر بالدراسة « مراعين ما أمكن » الترتيب الزمني التقريبي له . ومن المقطوعات التي نظمها ابن رواحة قوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ، أن ما قال واقع
ميت يحافي جنبه عن فراشه إذا استفتلت بالمشركين المضاجع
واعلم علما ليس بالظن أنني إلى الله محشور هناك وراجع
قد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : أن أبا لكم لا يقول الرفث ، يعنى ابن رواحة ، وذلك لقوله هذه
الآيات ^(١) .

والتأمل للبيت الأول يقين أن الشاعر فرح فخور بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم كيف لا ، وهو من الأنصار الذين نصروا رسول الله « ورحبوا به في مديقهم ، واحتضنوه في منازلهم » وانطوت على حبه قلوبهم ، ودافعوا عنه أكثر من دفاعهم عن أهلهم وذويهم . وحق للأنصار أن يفرحوا وأن يفخروا ، خاصة وأن القرشيين الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم عميت قلوبهم التي في

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٢ .

صدورهم عن حقيقة عظمة النبي القرشي الهاشمي . بينما فطن لها الأنصار ، وبقى البيت يبدو فيه التأثير الواضح بقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » ^(١) .

والنلاوة في البيت « تشمل صلاة الفجر وتلاوة القرآن الجردة . وتأمل الفعل « انشق » الذي يدل على شق النور لأديم الظلام » ولفظتي « معروف » و « ساطع » في الدلالة على جمال الفجر وروحانيته . وللفجر في المدينة المنورة جمال وروحانيته لا يتصورهما على حقيقتيهما إلا من عاشهما فعلاً ، فكيف بالفجر الذي يزينه وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وترتيله القرآن ترتيلاً .

وفي البيت الثاني يقارن بين العمى الذي كانوا فيه في الجاهلية « والهدى الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم سبباً فيه .. فقد غدت قلوبهم مؤمنة بأن كل ما قاله النبي من أمور غيبية واقع لا محالة . وهذا البيت يذكرنا بقوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » وإن كانوا من قبل لنى ضلال مبين » ^(٢) وقوله : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » ^(٣) .

وفي البيت الثالث يصور حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقضى جزءاً كبيراً من الليل في العبادة حتى تنورم قدماء . وهو يذكرنا بقوله تعالى :

(١) الإسراء « ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) الجمعة ، ٢ .

(٣) العنكبوت « ٣ ، ٤ .

«إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سُجُوداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع » يدعون ربهم خوفاً وطمعاً »
 وما رزقناهم ينفقون^(١) » وبقوله مخاطباً رسوله: «طه، ما أنزلنا القرآن لتشتى»^(٢)
 وبقوله : « يا أيها المزمل » قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه
 ورتل القرآن ترتيلاً » إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً » إن ناشئة الليل هي أشد
 وطأة وأقوم قيلاً»^(٣) وبقوله في نفس السورة^(٤) «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى
 من ثلثي الليل ونصفه وثلاثة من طائفة من الذين معك ... » وفي هذا البيت يصور
 المشركين الذين هم كالأنعام ، بل أضل سبيلاً ، بأن مضاجعهم ، تنبرم بهم ،
 وتشكو ثقلهم » لطول نومهم » وإخلاصهم إلى الكسل والراحة، وعدم معرفتهم
 لعبادة الله التي من أجلها خلقوا .

وفي البيت الأخير يقرر علمه اليقيني بالحشر ويوم الحساب ، ويأني بالمصدر
 « وأعلم علماً » ولا يخفى دوره التوكيدي ، ثم هو ينفي الظن عن هذا العلم
 « ليس بالظن » وكثير هي الآيات التي تتحدث عن البعث والنشور . وقد
 كان ابن رواحة يتمثل ذلك الموقف الرهيب دائماً^(٥) .

(١) السجدة ١٥ ، ١٦ .

(٢) طه ، ١ ، ٢ .

(٣) المزمل ١ — ٦ .

(٤) آية ٢٠ .

(٥) أنظر مثلاً تعليقه لبكائه أثناء خروجه إلى مؤته في تهذيب ابن عساكر ٣٩٢/٧
 وتاريخه ، مجمع دمشق ١ / ٣٩٣ ، والسيرة ٢ / ٣٧٣ وحجته » التي رضى
 عنها النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته على الأرض لا على ظهور الراحل :
 تهذيب ابن عساكر ٣٨٧/٧ .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة : ما الشعر ؟ قال : شيء يخرج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً . قال : فهو — تستطيع أن تقول شيئاً الآن ؟ فنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم ^(١) . وأنشد في الحال قوله ^(٢) .

فخبرني أثمان العباء متى كنتم بطريق أو دانت لكم مضر
نجلدُ الناس عن عرض فناميرهم فينا النبي وفينا تترل الشور
وقد علمت بأنا ليس غالبنا حتى من الناس، إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير . إن الله فصلكم على البرية فضلاً ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتمهم في الذي نظروا
ولو سألت أو اسقنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا وما نصروا
فقت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر

وهو يهجو فيها بني عمرو بن مخزوم وغيرهم من قريش . ويمدح آل هاشم وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ويبدوها بتعيين ثمن هؤلاء المشركين وقيمتهم التي لا تعدو في نظره لكفرهم العباء التي يلبسون ^(٣) .

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ وانظر الاستيعاب ٢ / ٢٨٧ .

(٢) الأبيات السبعة الأولى من طبقات ابن سلام : أما الثامن فقد جاء في السيرة وتاريخ ابن عساكر مع السابع والخامس ؟

(٣) لما قال : فخبروني أثمان العباء ، عرف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة أن جعل قومه أثمان العباء ، تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ .

ويطلب منهم في صيغة الاستفهام الإنكارى بأن يخبروه متى كانوا في يوم من الأيام قادة حاذقين بالحرب وأمورها . ومتى خضعت لهم مضر الحمراء فضلا عن غيرها . إنه يعيهم بأن سلطانهم ضيق لا يتجاوز حدود قبيلتهم ، بعكس المسلمين الذين تقسع حدود سلطانهم بمن الله وفضله . وهذا يذكرنا بقوله تعالى « أو لم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » والله يحكم لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب » ^(١) .

وفي البيتين الثانى والثالث يشير إلى جهادهم لكل المشركين مستخدماً لفظة « الناس » ويعنى بها القرشيين وسواهم . وكأنه يقول : أننا وفينا للنبي صلى الله عليه وسلم بالعهد الذى قطعه علينا من حرب الأحمر والأسود ^(٢) ونفذنا إذن الله لنا فى القتال بعد العقبة الثانية ^(٣) فى قوله تعالى :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

(١) الرعد ، ٤١ .

(٢) السيرة ١ / ٤٥٤ .

(٣) السيرة ١ / ٤٦٧ .

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَفِيهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ^(١) .

ثم أنزل الله تبارك وتعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ■ أى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله ■ أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره ^(٢) ■ وحينما يقول ابن رواحة ■ فنأسرهم » يذكرنا بقوله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ■ حتى إذا أناختهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ^(٣) .

وواضح أن الأسر هنا دليل الانتصار والقوة . وهل تستطيع فئة كافرة أن تقف أمام المسلمين وفيهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنزل عليه السور من السماء ترى . لهذه الأسباب ، بالإضافة إلى الشجاعة المتصلة فينا ، أنتم علمتم بقينا ، بأنه ليس هناك حى من الناس يستطيع أن يغلبننا مهما كان عزيزاً وكثيراً عدده . وهذا يذكرنا بقوله تعالى : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ، وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم » ^(٤) . وينادى بنى هاشم من

(١) الحج ، ٣٩ — ٤١ وجاء في السيرة ٤٦٧/١ « فكانت أول آية نزلت في أذنه له في الحرب واحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى (الآيات) أى أنى إنما أحالت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أن يعبدوا الله ■ وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين » .

(٢) السيرة ٤٦٨/١ .

(٣) محمد ، ٤ .

(٤) محمد ، ٣٥ .

قريش « مضيفاً إليهم الخير . » يا هاشم الخير « مشيراً إلى تفضيل الله عز وجل لهم على سائر البرية تفضيلاً لن يتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وكيف يتغير والنبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ؟ !

ويستمر في البيت الخامس مخاطباً له « صلى الله عليه وسلم ، معيراً مشركي قريش ، فهم الذين تولوا فاستبدل الله قوماً من الأنصار غيرهم . ومنهم عبد الله بن رواحة الذي نفرس الخير في وجه المصطفى فصدقت فراسته « وأثبت أنه ألقى بطن الظن إفسكأنه رأى وسمع « مخالفاً لغباء مشركي قريش ، الذين كذبوا النبي صلى الله وآذوه وأخرجوه من بين ظهرانيهم . وإنها لآلة الأبد أن يخرج مشركو قريش النبي القريش من بينهم فيحتضنه ابناً قتيلاً ، الأوس والخزرج ، مقدرينه حق قدره . وفي البيت السادس يأتي بالفعلين « استنصر » و « نصروا » والفعل « آووا » وليس بعيداً عن ذهنه لقب الأنصار الذي خص به هذان الحيان ، وقوله تعالى « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ^(١) وقوله « والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا » ^(٢) وهو لقب بصور طبيعة نصر هذين الحيين للنبي صلى الله عليه وسلم ومبايعتهم له على أن يحموه مما يحمون منه أزرهم ^(٣) وهو يستخدم لفظة « جل » بشأن رفض مشركي قريش المتكرر مساعدته في معظم شئونه ولسان حاله يقول : إن الأنصار قد نصروه في أموره كلها . ويستمر داعياً الله عز وجل أن يثبت ما آتاه الله من حسن تثبيت نبي

(١) الانفال ، ٧٢ .

(٢) الانفال ، ٧٤ .

(٣) جمع إزار ؛ والمراد النساء .

الله موسى « وأن يهبه النصر الذي وهبه الأنبياء السابقين . وقد وقع هذا البيت :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرُوا
من النبي صلى الله عليه وسلم موقع الرضا ، فقد قال حينما سمعه : « وأنت
فثبتك الله يا ابن رواحة » قال هشام بن عروة : فثبتته الله عز وجل أحسن
الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له الجنة فدخلها ^(١) .

والبيت الأخير الذي ينم عن حب عميق من ابن رواحة له صلى الله عليه
وسلم ، يقارن فيه بين وضعه هو والمسلمين الذين تنالهم دائماً بركة النبي صلى الله
عليه وسلم ، ويستمتعون باختلاس النظر لوجهه الكريم ، وبين المشركين الذين
أزرى بهم القدر « وألحق بهم نقصاً وخسراً نالوا بلازمهم الدهر » بسبب موقفهم
الخطيء من الإسلام ورسول الله إليهم وإلى الناس كافة .

وهناك مقطوعة من ثلاثة أبيات في الرجز تفيض بالمعاني الإسلامية :

باسم الإله وبه بدينا

ولو غبنا غيره شقيننا

وحبنا رباً وحب ديننا

وواضح أنها تتحدث عن الاعتماد على الله عز وجل وعبادته وتمجيده وتمجيد
دينه الحنيف .

(١) الاستيعاب ٢ / ٢٨٧ وانظر تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ .

من أهون البعور نظماً على العربي وأكثرها دوراناً على لسانه بحر الرجز لانسجام صوره المتعددة مع حركات العمل المختلفة، ولأن مقطوعته حتى الإسلام « كان يفترض فيها أن تكون محدودة الأبيات ، ثم هو في أغلب الأحيان وليد ساعته . وهذا يفسر ملازمته المعتادة للمحاربين وقت المبارزة . ولعبد الله ابن رواحة كمية من الرجز طيبة ، جارى بها الحوادث ومقتضيات الأحوال . فقد روى مثلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق كان ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز لعبد الله بن رواحة .^(١) وروى أن عبد الله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله عليه السلام : اللهم ارحمه . فقال عمر : وجبت ، يعنى الشهادة والجنة^(٢) والأبيات هى :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صدينا
فأنزلن سكيناً علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الكفار قد بقوا علينا^(٣)
وإن أرادوا فتنة أبينا

وواضح انسجام موسيقى هذه المقطوعة مع حركة الحفر التى يقوم بها المرتجزون ، ثم هى تزخر بالمعاني الإسلامية « فيبدأها معترفاً بمن الله وفضله على

(١) (٢) تهذيب ابن عساكر ٣٩١/٧ .

(٣) أخطاء فى « علينا » .

الفتنة المؤمنة بالهداية إلى طريق الرشاد . وهناك الإشارة إلى الصدقة والصلاة ،
وهناك الدعاء بإتزال السكينة على المؤمنين وتثبيت الأقدام ساعة القضاء ،
واستعمال لفظة الكفار . وكذلك البغى والفتنة بمعناها الإسلامى . ولا يخفى أن
هذه المعانى جديدة على العرب ، وأن التأثير فيها بالقرآن الكريم بئ .

الرجز وعمره القضاء :

صدّ مشركو قريش النبي صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر
الحرام من سنة ست عن أن يأتي هو والمسلمون وعددهم سبعمائة ^(١) بالعمرة .
وكان صلح الحديبية الذى من أهم شروطه في نظر المشركين « أن يرجع عنا عامه
هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا غنوة أبداً » ^(٢) . فاقص رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة . في الشهر الحرام الذى
صدوه فيه . من سنة سبع ^(٣) وروى أن عبد الله ابن رواحة كان آخذاً بخطام ناقه
النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة ^(٤) وحين طاف بالبيت ^(٥)
وكان عبد الله يرتجز قائلاً :

خَذُوا بِي الكفار عن سبيلهِ
خَلَوْا فَكُلُّوا الخَيْرَ في رسولهِ

(١) السيرة ٢ / ٣٠٩ .

(٢) السيرة ٢ / ٣١٦ .

(٣) السيرة ٢ / ٣٧٠ .

(٤) السيرة ٢ / ٣٧١ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩١ .

يارب إني مؤمن بقبيله
أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يُزيلُ الهامَ عن قبيله
ويذهل الخليلَ عن خليله

وروى أن عمر بن الخطاب أنكر هذا الرجز على ابن رواحة قائلاً : ■ أو
هاهنا يا ابن رواحة أيضاً ؟ ^(١) وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر :
« خلّ عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لسلامة أشد عليهم من وقع النبل » . ^(٢)
والحقيقة أنه كان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت
وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل
قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة
يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكان
في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول
ابن رواحة ^(٣) .

وكون ابن رواحة يأخذ بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم ، ذلك دليل
على منزلته عنده . وكونه يرفع صوته بهذا الرجز ، الذي كله هجوم على المشركين
الذين كانوا قوياً الشوكة وقتئذٍ في عقر دارهم ■ في مكة التي لم تكن بعد قد

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩١

(٢) المصدر نفسه

(٣) غ « ق » ٢٩ / ١٥ وانظر « الدار » ٤ / ١٣٨

فتحت ، ذلك دليل على إيمان ابن رواحة العميق « وتغلغل روح الفداء والتضحية فيه .

في هذا الرجز ، يخاطب ابن رواحة « بنى الكفار » ، وليس في ذلك تعريض بالخاصين فقط « بل بالأموات من الآباء والأجداد ، ويأمرهم أن يتركوا طريق النبي صلى الله عليه وسلم خالياً منهم كي يملأه بالخير كل الخير ، إنهم عريقو النسب في الكفر ، أما هو فؤمن بكل ما يوحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم « وهو يعلم يقينا أن الله حقاً في قبول ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى .

والآيات الأربعة التالية توحى بالثقة المطلقة والإيمان العميق « إننا نحن الذين قتلناكم على تأويله « وهو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به ، كما في قوله تعالى : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله » ^(١) كما قتلناكم على تنزيله « حينما أمرنا الله عز وجل أن نقاتلكم ، وهو يشير إلى ما فعلوا بهم خاصة في بدر ، وقد قال ابن رواحة في الموضعين « قتلناكم « مشيراً إلى النتائج الإيجابية للقتال الفعلي ، فقد يكون هناك قتال دون قتل . ويستعمل المصدر « ضرباً » في قوله « ضرباً يزيل الهام عن مقيله » والذى يقوم بهذا العمل هو السيف ، ولا يعمل إلا إذا كان هناك تلاحم بين الفريقين المتقاتلين . وكون السيف الذى يستعملون يزيل الهام من مغرزه بين الكتفين ذلك دليل على خبرتهم التامة باستعمال السلاح ورباطة جأشهم ساعة الفرع .

(١) محمود شاكر - هامش طبقات ابن سلام .

هذا الضرب من الشدة للدرجة التي تجعل الذي أضنى المودة وأصحبها مشغولاً بنفسه مذهولاً عن خليله « وكأنه في يوم الحشر . وواضح أن السبب الذي يكمن وراء شدة الضرب أن هذه الفئة مؤمنة بينما الأخرى كافرة .

شعره وغزوة مؤتة :

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء المدينة في ذي الحجة وأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان^(١) . وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي ثم أحد بنى لهب إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي فقال : أين تريد ؟ قال الشام . قال لملك من رسل محمد ؟ قال : نعم . أنا رسول رسول الله . فأمر به فأوثق رباطاً ، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً . ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فاشتد عليه ، وندب الناس « وأخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فمسكروا بالجرف^(٢) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس في مؤتة زيد بن حارثة ثم قال : ثم قال : فإن أصيب زيد فجعفر « وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب فأيرتض المسلمون رجلاً فيجعلوه عليهم ، فتهجز الناس وتهيئوا للخروج^(٣) وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع

(١) تاريخ ابن عساكر ، مجمع دمشق ١/ ٣٨٨ .

(٢) » » » » ١/ ٣٨٩ .

(٣) » » » » ١/ ٣٨٨ .

الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودَّع عبد الله ابن رواحة بكى ، فقالوا : ما يسكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار : « وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً » فليست أدرى بالصدَر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكيدا
حتى يقال إذا مروا على جدتي أرشده الله من غاز وقد رشدنا^(١)

لنتصور هذا المشهد الرهيب المهيّب « جيش سينطلق غازياً لا يدري ما الله صانع به ، وقد خرج لتوديعه على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ويدّعى لهم بأن يعودوا صالحين سالمين » ويؤمن الجميع باستثناء ابن رواحة الذي يسأل الله عز وجل وقتها الشهادة . فإلى السبب الذي دفع ابن رواحة إلى ذلك « إذ المعروف أنه من الثلاثة والسبعين رجلاً الذين شهدوا العقبة الثانية ، وأحد الاثنين عشر نقيباً الذين اختيروا بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة والذين قال لهم : « أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ، ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم » وأنا كفيل على قومي » يعني المسلمين^(٢) وشهد بدمراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه

(١) السيرة ٣٧٣/٢

(٢) السيرة ٤٤٦/٢

وسلم ، عن الحارثيين في بدر « لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال :
 اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ^(١) وهو أحد الأنصار الثلاثة الذين خرجوا
 في بدر للمبارزين الثلاثة من قريش ، فرفض القرشيون مبارزتهم ^(٢) وشهد
 أحداً والخندق والحديبية وعمره القضاء والمشاهد كلها. ^(٣) وقد كان « أول خارج
 إلى الفزو وآخر قافل » ^(٤) وفوق كل ذلك كان عابداً لله حق العبادة ، فقد
 جاء مثلاً في الحديث « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ، وإن
 أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، ما منا صائم إلا ما كان من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة ^(٥) » ومعروف أن النبي صلى الله
 عليه وسلم معارف من الله عز وجل على العبادة ^(٦) وكان ينهى المسلمين أن يتكافؤوا
 فوق طاقتهم ، ولكن حرص ابن رواحة على التأسي برسول الله هو الذي
 يدفعه إلى تجشم أمثال هذه الصعاب . وكان صلى الله عليه وسلم يرضى عن فعل
 ابن رواحة الحريص على الثواب ^(٧) وأحياناً يُرشد به إلى الطريق الأمثل ^(٨)
 وله الكثير من المناقب التي أجمع عليها كل الذين تحدثوا عنه . وقد روى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال عنه : « رحم الله ابن رواحة ، كان أينما أدر كته

(١) السيرة ٣٩٩/٢ .

(٢) السيرة ٦٢٥/١ .

(٣) الاستيعاب ٢٨٥/٢ .

(٤) الاستيعاب ٢٨٥/٢ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٢٨٩/٧ .

(٦) نيل المرام ٣٢٢/١ .

(٧) أنظر مثلاً تهذيب ابن عساكر ٣٨٨، ٣٨٧/٧ .

(٨) تهذيب ابن عساكر ٣٩٠، ٣٨٩/٧ .

الصلاة أنانح ^(١) وقال أيضاً عنه في حياته « يرحم الله ابن رواحة » لأنه يحب المجالس التي تقباهي بها الملائكة ^(٢) والمراد مجالس العلم .

وقال : « نِعِمَّ الرجلُ عبد الله ابن رواحة » في حديث طويل ^(٣) ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وله من المنزلة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مالا يخفى وكان النبي صلى الله عليه وسلم أدرك أن فرح ابن رواحة بانتصار المسلمين في بدر ليس عليه من مزيد ، فبعثه « بشيراً إلى أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين » وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ^(٤) .

إن السبب الذي دفع ابن رواحة إلى طلب الشهادة بدلاً من أن يعودَ صالحاً سالماً هو أن هذا الرجل « المثالي الإيمان » لم يكن يقنعه إلا أن ينال أعلى الدرجات التي يمكن لمؤمن من أتباع محمد بن عبد الله أن ينالها . وليس هناك درجة أعلى من الشهادة يمكن أن تنال لشخص مثله ، لذلك سعى إليها هذا المؤمن الطموح ، وحرص عليها ، ودعا الله عز وجل مخلصاً أن يهبها له . والآن هو على وشك التوجه إلى غزوة من أهم الغزوات . وهل يمكن أن تنال الشهادة إلا في مثل هذه الغزوة ؟ إنها فرصة العمر بالنسبة له . وفي تلك

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٨ .

(٣) ١ ص ٢٩٨ وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .

(٤) السيرة ١ / ٦٤٢ . وانظر ١ ص ٢ / ٢٩٨ .

الحفظة الخالدة يتجاذب ابن راحة حب النبي صلى الله عليه وسلم الذي سيفارقه ورهبة المعاني في قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها » كان على ربك حتما مقضيا » والرغبة في الشهادة ، غير المتأكد من حصوله عليها « فيبكي رضى الله عنه » ويجد برد فؤاده في الابتهاال إلى الله عز وجل أن يتكرم عليه بالشهادة ، وكأنه تذكر قوله آنفاً « لا أزال حيساً في سبيل الله حتى أموت » حينما أنزل الله عز وجل في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن راحة « قالوا في مجلس : لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت ، قوله ^(١) » « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » ^(٢) فتجري على لسانه تلك الأبيات الثلاثة التي تتفجر بالفداء والتضحية .

وواضح أنه يبدأ البيت الأول بـ « ولكن » وكأنه يريد أن يستدرك على أولئك الذين دعوا له بالعودة سالماً . إنه يسأل الله عز وجل المغفرة التي يشفع في سبيلها السؤال بالعمل . وأى عمل أشرف من أن يُقتل الإنسان مجاهداً في سبيل الله فينال الشهادة . لذلك هو يأنى بواو العطف ، : « لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة . . . أو طعنة » إنه يستعمل « ضربة » المرتبطة بالسيف و « طعنة » المرتبطة بالرمح . وقد ابتدأ بالضرب الدال على تصميم مجاهدنا على التلاحم في المعركة بالأعداء . وإن كان البعد بين المتحاربين محدوداً أمكن استعمال

(١) الصف ٢ — ٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٩ .

الرمح » وهو ما عفاه بقوله « أو طعنة » ولم يخطر ببال الشاعر أن يكون بينه وبين أعداء الله في المعركة مسافة يحوجهم فيها إلى استعمال النبال .

إن حرصه على الشهادة لا يجعل مثل هذا البعد بالنسبة له ممكناً .

وتأمل نوع الضربة التي يقمى .. إنها ضربة بالسيف واسعة عميقة يتدفق بسببها الدم وكأنها تقذف به وقد علاه زبده ورغوته . وتأمل نوع الطعنة . إنها طعنة بحربة من يد كافر يغلى الحقد على الإسلام في جوفه ، تُنفذ من ابن رواحة ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه « ويخرج طرفها من شقه الآخر ، فيضم بإحداهما الجنة .

ويستمر الشاعر في سؤاله « وكان الله عز وجل قد استجاب له فعلاً .

حتى يُقال إذا مروا على جدتي أرشده الله من غاز وقد رشدا
ومعنى الشطر الثاني أن الله عز وجل قد هداه إلى طريق الحق « طريق
الجهاد في سبيله ، فسار فيه واستمر حتى النهاية . ولكن من الذي يقول هذا ؟
إنهم المؤمنون حقاً والفازون في سبيل الله « الذين انتفعوا من الدرس الذي ألقاه
ابن رواحة . ويبدو هنا تفاؤله ببقاء ذلك المسكان النائي آنذاك « مؤتة »
أهلاً بالمسلمين « ورغبته في الجمع بين الشهادة والأزفة .

ونحن في غنى عن أن نقول : إن ابن رواحة الشجاع ، كان إيجابياً في طلبه
الشهادة « إذ لم يكن من المعقول أن يقدم نفسه لقمة سائغة لأعداء الله « ولكنه
من الذين يشملهم قوله تعالى في كتابه العزيز « إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيُقتلون ويُقتلون وعداً

عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعتكم الذي بايعتكم به ، وذلك هو الفوز العظيم ^(١) .

وتحرك الجيش . وعاد المدعون . فلم يفتقد ابن رواحة غير النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه :

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشي وخليل

فإنه عز وجل خليفة على خير من خرج للتوديع . وخير من أضنى المودة وأصحها ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ودعه ابن رواحة . وبلاحظ أن لفظة الخليل تكرر استعمالها في رجز ابن رواحة . وهي بدورها تكررت في القرآن الكريم . ودارت على لسانه صلى الله عليه وسلم . وانطلق الجيش متوجهاً إلى مؤتة . والعادة جرت أن يمتطوا النوق ويجنبوا الخيل إلى المعركة ومنها ^(٢) .

وروى عن زيد بن أرقم . الذي كان يقيم في حجر عبد الله بن رواحة . فخرج به في سفره ذلك مردفاً له على حقيقته ^(٣) رحله . أنه سمعه وهو يسير في إحدى الاليالى ينشد أبياته هذه :

إذا أذيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء

(١) التوبة ، ١١١

(٢) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد علياً في أثر أبي سفيان ومن معه . وقال : أنظر . فان جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة . تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٦٠ .

(٣) الحقيقية في الأصل ، المعجزة ، ثم سمي ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيقية مجازاً ، لأنه محمول على العجز .

فشأنك أنعم وخلقك ذم ولا أرْجِعْ إلى أهلى ورأى
وجاء المسلمون وغادرونى بأرض الشام مشتهى الثواء
وردك بكل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعته منه بكيت . قال : خففتى ^(١) بالدرة ^(٢) وقال : ماعليك يالكع ^(٣)
أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى ^(٤) الرجل ^(٥) !

في هذه المقطوعة : يخاطب الشاعر ناقته بقوله : إذا أوصلتنى المكان الذى
أبغى ، مكان الجهاد فى سبيل الله ، وحملت مركبك الذى عليه أجلس مسافة
أربع ليال بعد قرية أحساء ^(٦) . فن حقت أن تنمى بالحرية المطلقة . والمسرة
العائمة ، لأنك قتت ، غير مذمومة . بكل ما أطلبه منك يا بصالى إلى ساحة
الجهاد . فإنى قد دعوت الله عز وجل أن يكتب لى الشهادة وألا يعيدنى إلى
أهلى . فحينما تعودين لن تكفى مثل هذه المشقة ثانية . والشاعر يحدد الليالى
التي يحتاجها بعد الحساء للوصول إلى مكان المعركة . فقد كان هو وقومه على علم
تام بخطة سيرهم . ثم هو مطمئن النفس مرتاح البال قرير العين سعيد بهذا العمل
المجيد الذى يقوم به ، معترف بفضل ناقته عليه ، وباليد البيضاء التى أسدتها إليه

(١) خففتى : ضربي .

(٢) الدرة : السوط .

(٣) يالكع ، كصرد : يالئيم .

(٤) شعبتا الرجل : طرفاه . القدم والمؤخر .

(٥) السيرة ٢ / ٣٧٧ .

(٦) « ثم انحاز المسلمون إلى مؤته » قرية فوق أحساء . تاريخ ابن عساكر جمع

دمشق ١ / ٣٨٩ .

والتي لا يمكن أن يحجدها . وابن رواحة هنا « صاحب مذهب محمود في رد الجليل إلى الناقة ، فهذا داود بن سلم المدني ^(١) يحاطب قُثم بن العباس ، أخا عبد الله بن العباس ^(٢) :

نَجَوْتُ مِنْ حُلٍّ وَمِنْ رَحْلَةٍ يَا نَاقُ إِن أَدْنَيْتَنِي مِنْ قُثْمٍ
إِنَّكَ إِن أَدْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا حَالِقِي الْيُسْرِ وَمَاتَ الْعَدَمُ
وتبعهما الحسن بن هانيء فقال وأحسن :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَّا بِلَفْنِ مُحَمَّدًا فَظَهَرُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
قُرْبَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِيءَ الثَّرَى فَلَهَا عَلَيْنَا حَرَمَةٌ وَذِمَامُ

ويستمر ابن رواحة مستخدماً واو العطف فكأنه يقول وإذا جاء المسلمون وهذا شيء طبعي أن يعود باقي الجيش صلحاً سالماً ، ولكنه يأتي بالفعل في صيغة الماضي « فكأن الجيش قد جاء فعلاً . ويأتي بالصيغة نفسها مباشرة « وغادروني » فكأن الرجل قد اسقشده فعلاً وعاد جيش مؤتة دونه . كما يأتي بـ « مشتهى الثواء » فشهوته أن يبقى في أرض الشام شهيداً . وكان رحمه الله يظن أنه سيبقى وحيداً هناك « والواقع أنه اسقشده معه آخرون . ويعود إلى مخاطبة ناقته مستعملاً واو العطف :

وَرَدُّكَ كُلَّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعُ الْإِخَاءِ

فإذا رد هذه الناقة لإخوته في الإسلام « القريبون من الرحمن بأعمالهم الصالحة »

(١) من مخضرمي الدولتين « الأموية والعباسية . غ ١٠/٦ .

(٢) انظر غ ٢٠/٦ و ١٦٩/٩ و م الأدباء ١٩٢/٤ والخزانة ٣٣/٣ وابن عساكر

٢٠٠/٥ والسبط ٢١٩/١ .

وبقى منقطع الإخاء « فليس معه إخوة في النسب ولا في الدين » إذ غادر الدنيا فهذه هي نصيبته الصحيحة « وهذه هي فرحته الحقيقية ، وبالقياص لهذه الفرحة » ما أرخص فرحة الدنيا ، بما في ذلك فرحه بأول ما يبدو من ثمر نخله الذي يشرب ويرتوى بمروقه فيستغنى عن السقي والسماء ، أو الذي يقوم هو بخدمته . وكأنى بأبن رواحة هنا يستفيد من من أخوة الإسلام الحقيقية « ومعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما آخى بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين المقداد بن عمرو^(١) . ويفهم من البيت الأخير أنه كانت له علاقة بالنخل الذي تعرف به بيئة المدينة المنورة . . وفي هذه الرحلة قال عبد الله بن رواحة لزيد ابن أرقم .

يَازِيدُ زَيْدُ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبَلِ

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَانْزِلِ

وقد أضاف زيداً إلى الإبل القوية على العمل « الضامرة من طول السفر لحسن قيامه عليها ومعرفته بجداها » وطلب منه داعياً له بالهداية أن ينزل عن راحلته ويحدو الإبل « وينشطها بالحداء » ويزيل عنها التعب والإعياء « فإن الليل قد طال . والشاعر يصف الإبل بالقوة المطلوبة منها لقطع تلك المسافات الشاسعة ، وبالضمور ، وذلك دليل على تأثير السفر فيها . وتبين من هذين البيتين العلاقة الوثيقة بين الحداء ليلاً وتنشيط الإبل . وقد تستفاد العلاقة بين الحداء وبحر الرجز . فلا يستبعد أن يكون ابن رواحة أخذ يترنم للإبل بهذين البيتين اللذين يخاطب بهما زيد بن أرقم . وهما « بالإضافة إلى بقية الرجز الذي ينسب لابن رواحة دليل على أن عدد أبيات الرجز محدود في تلك الأثناء .

وهو يأتي بجملة « هديت » ، وهل هناك دعاء لزيد في نظر ابن رواحة المؤمن
يتقدم الدعاء بالهداية ؟

قال زيد (بن أرقم) : ثم نزل (ابن رواحة) فصلى ركعتين دعا فيهما دعاء
طويلاً ثم قال لي : يا غلام « قلت لبيك . فقال : هي إن شاء الله الشهادة »^(١)
لقد بلغت نفس ابن رواحة من الرقة والشفافية والإخلاص في حب الله لدرجة
الثقة والاطمئنان إلى أن الله عز وجل قد استجاب دعاءها .

هذا التصميم على الشهادة هو الذي جعل لابن رواحة رأيه انخلاص حينما
نزل الجيش « معان فبانهم أن هرقل قد نزل بمآب »^(٢) في مائة ألف من الروم
ومائة ألف من المستعربة^(٣) فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا في
أمرهم . وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر « فإما
يردنا وإما يزيدنا رجالا . فبينما الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة
فشجعهم ثم قال : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح
ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . انطلقوا ، والله لقد
رأيتنا يوم بدر مامعنا إلا فرسان ويوم أحد فرس واحدة . فإنما هي لإحدى
الحسنيين . إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا وليس لوعده خلف
وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان . فتشجع الناس على مثل قول
ابن رواحة^(٤) « وهل كان ينتظر من ابن رواحة سوى التصميم على الجهاد » مهما
كان العدو كثيراً في العدد والعدة « وقد لاحت له تبشير الشهادة ؟ »

(١) تهذيب ابن عساکر ٣٩٣/٧ .

(٢) مآب « بوزن معاب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء .

(٣) تاريخ ابن عساکر مجمع دمشق ٣٨٩/١ .

(٤) المصدر نفسه ٣٩٥/١ .

وفي معان « نظم ابن رواحة مقطوعة من بحر الوافر الذي ينسجم تماماً مع الاندفاع والحساس الذي عُرِفَ به كل واحد في الجيش » ومع وقوع حوافر الخيل التي ترجم الأرض بها . وليس بعيد عنا تلك المقطوعة التي نظمها في نفس الوزن ، وقد يكون متأثراً بابن رواحة ، قيسُ بنُ المكشوح المردى قاتل رسم قائد الفرس في موقعة القادسية « في مقطوعته ومطلعها ^(١) :

جلبت الخيل من صنعاء تردي بكل مدجج كالليث سابى

ومقطوعة ابن رواحة هذه يدور الحديث فيها عن الخيل ، والمراد بطبيعة الحال أربابها « فتقدمها من تقدمهم ، وتحشمها للصعاب من تحشمهم » واقتحامها قلب المعامع من تصميمهم على الجهاد في سبيل الله ، وبذل الأرواح رخيصة ابتغاء مرضاته . ويبدوها ابن رواحة بقوله :

جذبنا الخيل من أجأ وفرع نهر من الحشيش لها المكوم

ولا يخفى ما يرتبط بالفعل « جلب » من صياح وجلبة وزجر واستحثاث للخيل بقصد أن تسرع بل أن تسبق . ولكن تسبق ماذا ؟ وإلى أين ؟ إنها يسبق بعضها البعض . فالمعروف أن الفرس في القطيع أسرع منه وحيداً . أما إلى أين « فألى أولئك الذين قتلوا رسول رسول الله كفى يذوقوا وبال أمرهم » ويذكر الشاعر اسمين من الأماكن التي مر بها جيش مؤتة « أجأ وفرع » ويشير إلى طبيعة عنايتهم بالخيل « فهي تطعم كميات معلومة من الحشيش الذي تحب .

وينتقل إلى تصوير المشقة التي عانتها الخيل ، والطرق الوعرة التي أرغمتها عزيمة أصحابها على سلوكها .

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ٣٢٠ .

حذوناها من الصَّوْانِ سَيْنًا أَزَلْ كَانَ صَفْحَتُهُ أُدِيمُ

لقد اتصلت الطرق الصعبة الوعرة غير المألوفة ببعضها . فلا تقع حوافر الخيل إلا على حجارة .

وكان الصَّوَانُ^(١) لعدم إخطاء حوافرها لها أو انحرافها عنها ، نعالاً مدبوغة ملساء تلبسها . ويعين المدة التي مكثها الجيش في معان ، وهي ليلتان ، وفي هذه الفترة كانت الخيل قد نالت قسطاً كبيراً من الراحة بعد المشقة التي عانت :

أقامت ليلتين على معانٍ فَأَعَقَبَ بعدَ فترتها نُجُومُ

ويلاحظ فضل مثل هذا التحديد الزمني على التاريخ . وأتى الله بالصباح فتحرك الجيش الغازي ، واندفعت الخيل مرسلّة طليقة وكلها نشاط وحيوية ، وكان الجو لافحاً ، فهي تستنشق هواءه الحار . ولا يخفى المشقة التي يعانيها الفرسان ضمنًا :

ويأتى البيت الذي ينم عن إيمان وقوة وثقة وعزيمة لا تفنى .

فلا وأبى مآبَ لَنَأْتِيَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ

إنه يأتى بلا النافية ، وكأنه يجب أولئك المغرورين بكبرتهم الذين يقول لسان حالهم : إنه لا يمكن للمسلمين القليلي العدد والعدة أن يبلغ بهم الاستهتار ، إلى حد أن يأتوا إلى مآب ، المكان الذي نعسكر فيه . فيقول ابن رواحة بملء فيه : لا ، مآبَ لَنَأْتِيَنَّهَا ، ولا يخفى دور لام القسم الفعال في « لَنَأْتِيَنَّهَا » ثم هو قد قدم المفعول به « مآب » وفي ذلك شد للانتباه ودلالة على التصميم ،

(١) ضرب من الحجارة شديد « واحدتها صوانة .

وقد سبق ذلك بواو القسم ثم بالمقسم به « أيه . وقد لا يتوقع مقسمٌ به كهذا من ابن رواحة المؤمن . وعذره في ذلك أنه يتمشى مع الوزن الموسيقى ، وليس الوقت وقت تنقيح الشعر أو تهذيب ، ثم إن العهد قريب بالاعادات الفنية الجاهلية . والشطر الثاني « وإن كانت بها عرب وروم » يدل على تصميم الجيش الإسلامي ، الذي كان على علم تام بحقيقة عدوه .

ونلاحظ هنا أيضاً التوافق التام مع الأخبار التاريخية . ويقول مستمراً :

فَمَعَانَا أَعْيَتْهَا خِجَاءَاتُ عَوَابِسَ وَالْفَبَارُ لَهَا بَرِيمُ
بَذَى لَجِبٍ كَانَ الْبَيْضُ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ

وهو يحىء بالفعل الماضي « عبا » فهم قد انتهوا من تجهيز الأعنة . فلم خصها بالذكر ؟ لارتباط الأعنة بالرحلة الأخيرة من التعبئة ، فحينما يكون الفارس ممتطياً جواده يلعب عنانه . وفي تجهيزه له تجهيز ضمني لكل ماعداه فكأن الشاعر يقول : نحن في أكل عدة وأتم استعداد . ويردف ذلك الفعل الماضي بآخر « فجاءت عوابس » إن هذه الخيل تبدو عوابس لكل عين . لأنها تستمد هذه الصفة من خطورة الموقف وصرامة أصحابها . وقد أثارت غباراً امتزج لونه بلونها حينما اندفعت بجيش المسلمين ذى الضجيج والصياح « المدجج في سلاحه ، المعنى به ، فكأن أعالي بيض الحديد النجوم المتألقة ، حينما خرجت نهراً ككتاب الفرسان إلى البراح . ويقول عن هذه الكتابات :

فَرَاضِيَةُ الْمَيْشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْنَمُهَا فَتَنَكَّحَ أَوْ تَمِيمُ

فهذه الفئة الجاهدة في سبيل الله « حينما شرعت الأسنة » طلقت تلك المعيشة التي كانت راضية بها ، واستقبلت أخرى قوامها بذل الروح رخيصة في

سبيل الله جل وعلا . وسواء في نظرها أن يقدَّر لها البقاء فتعود بعد الفوز
بثواب الجهاد إلى أخذ نصيبها من الدنيا « أو تُستشهد . وقد جعل النكاح
رمزاً للبقاء ، والأينم « بمعنى البقاء بلا زوجة ، رمزاً للموت .

وأخيراً تم اللقاء بين الجيشين في مؤتة . واستشهد زيد بن حارثة وجعفر
فحمل الراية ابن رواحة ، وتقدم بها وهو على فرسه « فجعل يستنزل نفسه ويتردد
بعض التردد ثم قال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لِقَفْرِ لَنِّهِ
طَائِفَةً أَوْ فَلَقُ كَرْهِنِهِ
إِذَا أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّئَّةَ
مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
وطلالما قد كنت مُطْمَئِنَّةً
هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْقَةٌ فِي شَفِّهِ

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِلَّا تَقُوعِي تَمَوِّي
هَذَا حِمَامِ الْمَوْتِ قَدْ صَالَيْتِ
وَمَا تَمَيَّنَيْتِ قَدْ أُعْطِيتِ
إِنْ تَقَعَلِي فَمَلَهُمَا هُدَيْتِ
أَوْ تُبْقَلِي فَطَالَمَا عُوِفِتِ
وإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ

فها تان المقطوعتان من بحر الرجز وليدنا ساعتها . وواضح أن المعركة من حيث العدد والعدة غير متكافئة « والقائد حامل الراية ، في مثل هذا الوضع » هدف للفتنة الأخرى . لقد اتضحت لابن رواحة النهاية وثبتت في نظره الشهادة والمسافة تحتاج فقط قليلا من التقدم . ويتبين الموقف الرهيب « خاصة ونحن بصدد نفس شاعرة » تتمثل خفايا الجزئيات بوضوح « بل قد تجسمها . والوضع في مؤنة بطبعه لا يحتاج إلى تمثيل أو تجسيم ، فقد قتل زيد الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم « الذي لا ينطق عن الهوى : » « إن أصيب جعفر » وقتل جعفر ، الذي قال عنه : « وإن أصيب فعبد الله بن رواحة » . والآن القائد ابن رواحة . لقد تحقق قوله صلى الله عليه وسلم بإصابة الأميرين ، ويوشك أن يتحقق قوله في ابن رواحة . وعمما قليل ، سيكون للمسلمين قائد غيره ، وربما آخر وثالث وهكذا . إنه الموت « وإنها الشهادة ، وإنه الصراع الأزلي في الأنفس بين الرغبة والرغبة من الموت « وإنه الطمع عند النفوس المؤمنة المطمئنة في لقاء وجه الله عز وجل . وإنه الموقف في المعركة الذي يتساوى فيه للوهلة الأولى الجبان والشجاع ثم يفترقان . الجبان ينكص والشجاع يتقدم . كل ذلك وكثير غيره صادفه ابن رواحة في تلك اللحظة الحرجة التي لم يَطل فيها ترده . فسرعان ما انتصر الحق في نفسه على الباطل فاندفع وقاتل حيناً ثم نزل « فلما أتاه ابن عم له بعرق^(١) من لحم فقال : شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أهلك هذه مالمقيت . فأخذه من يده ثم اتهمش^(٢) منه نهشة » ثم سمع الخطمة^(٣) في ناحية الناس « فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتل^(٤) .

(١) العظم الذي عليه بعض اللحم .

(٢) أخذ منه بضمه يسيراً .

(٣) زحام الناس ، وحطم بعضهم بعضاً .

(٤) السيرة ٣٧٩/٢ والاستيعاب ٢٨٦/٢ .

ونحن نود أن نقف عند تردد ابن رواحة أول الأمر . فمثل هذا الموقف يصادفه عادة أعظم الشجعان ، فقد صادفه عمرو بن الإطنابة ، الفارس الخزرجي والشاعر الجاهلي : يقول مثلاً^(١) :

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بِلَائِي وَأَخَذِي الْحَذَّ بِالْثَمَنِ الرِّبِيحِ
وإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وقولي كلما جَشَأْتُ^(٢) وَجَأْتُ مَكَانَكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وصادفه فارس اليمى ، عمرو بن معد يكرب إذ يقول^(٣) :

فَجَأَشْتُ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ

وصادفه صاعقة من صواعق الدنيا ، قطري بن الفجاءة المازنى . يقول^(٤) :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَمَاعًا^(٥) مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعَى

ويحدث من كل هؤلاء الأبطال الأفاضل ترويض للنفس على الصبر على المكروه .

وواضح أن هذا الشموخ طبعى ، وليس مصدره الجبن والفرق ولكن التقدير الصحيح للموقف ، فإن لذلك اليوم مابعده . وفرق بين صحيح

(١) اثير ١ / ٢٨١ والميون ١ / ١٢٦ والمقد ١ / ١٢٢ وم المرزبانى ٢٠٤ والأمالى

١ / ٢٦٢ وحى مخترى ص ١ والمجالس ٨٣ والأشباة ١ / ١٨ .

(٢) جَشَأْتُ : تطلعت ونهضت جزعا وكراهة . وجَأْتُ : غشت أو دارت للفتيان .

(٣) حماسة المرزوقى ١٥٨ .

(٤) ديوان الحماسة لأبى تمام (طبع صبيح) ١ / ٣٣ وحى مخترى ص ٣ .

(٥) الشعاع ، بفتح الشين : تفرق الدم وغيره .

التقدير الذى هذا موقفه « وغير صحيحه » الذى يتوجه إلى الحرب بشيء غير قليل من اللامبالاة ، فيسهل أكله . و فرق بين كذلك بين مرهفى الإحساس دقيقى الحساب الذين يدركون تماماً أن أدنى خطأ فى التقدير يجر قومهم إلى كثير من الويلات والدمار « فكلامهم إحساس وإدراك وبين بليدى الإحساس قاصرى الإدراك » فما أسهل اصطيا دم وما أهونهم على أعدائهم .

لقد وجد ابن رواحة ربيع الجنة ، فشخص من نفسه مثالا خاطبه فى المقطوعة الأولى فى لهجة الجازم ، المحرض ، المرغب ، المُمْنى ، المؤنب ، المهون من شأن هذه النفس . فهو يبدأ رجزه مقسماً بالله العظيم أن تنزل نفسه وتدخل فى قلب المعركة . وهو يأتى فى « لتنزلنه » بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وهاء السكت . ويكرر ذلك فى البيت التالى « لتكرهنه » وقد جعل من النون الثقيلة قافية . وواضح أن هاء السكت قوة لها . إن بحر الرجز ، فى صورته هذه يتمشى مع حماس الشاعر وشدة انفعاله . فالشطر من الرجز يعتبر بيتاً . والبيت الواحد عادة يتضمن معنى شبه مستقل بذاته . فكأن ما يطلب فى شطرى البيت فى غيره يطلب فى شطره . وإن نون التوكيد الثقيلة هنا تفيح للنفس المنفعلة ، ذات دقات القلب السريعة ، أن تتخلص من كمية كبيرة من الشعور الذى وقفته النفس التى هذا وضعها على البيت الواحد من الرجز . ويلاحظ أن النون فى الأبيات الأخرى أصلية وليست للتوكيد « ولكن لها نفس الدور لأن نطقها لا يختلف . ويبدو هذا من نطق « الرنه » « الجنة » « مطبئنه » « شنه » .

ويبدو فى البيت الأول « أقسمت يانفس لتنزلنه » الأمر الجازم : وفى قوله « طائفة أو فلتكرهنه » إزام للنفس بالنزول عن طريق الترغيب والترهيب .

وفى قوله « إذ أجلب الناس وشدوا الرنه » إذكاء لروح المنافسة فيها . وفى قوله فى صيغة الاستفهام الإنكارى : « مالى أراك تكرهين الجنة » إغراء

لها بأنه ليس بينها وبين الجنة إلا بضع خطوات تخطوها . وفى قوله « وطالما قد كنت مطمئنة » تأنيب لها على إلانها لتعيم الدنيا الذى طال أمدّه ، وكان الأولى بها ، وأمامها فرصة العمر ، أن تظهر برّهما من هذا التعيم وفرحها بلقاء التعيم الأزلّى .

وفى بيت الاستعارة : « هل أنت إلا نقطة فى شنه » إعطاء لهذه النفس القيمة الحقيقية لها ، فهى بمنزلة القليل من الماء الذى يبقى فى القربة « وإن جَسَدَهُ وعاءَ نَفْسِهِ بمنزلة القربة الخماق الصغيرة » فتوشك نفسه أو روحه أن تغادره ، حتى لو سلم من هذه المعركة تماما كما يتوقع لقليل الماء فى السقاء البالى أن يسرب منه .

وواضح أننا بصدد ألفاظ ذات صبغة إسلامية . فقوله « طائفة أو فلتسكروهنه » يذكّرنا بقوله تعالى « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ »^(١) . وعندنا لفظتا « الجنة » و « مطمئنة » اللتان تذكّراننا بقوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى »^(٢) ولا يخفى أنه يستعمل « مطمئنة » للدلالة على نوع الحياة التى عاشها رضى الله عنه . ورحم الله ابن رواحة الذى كان يشقّ على نفسه ابتغاء مرضاة ربه كثيراً .

وفى المقطوعة الثانية حينما يقول « إِلَّا تَقُمَلَى تَمُوتَى » إنما يبين قوله السابق « هل أنت إلا نقطة فى شنه » فهناك نتيجة حتمية للحياة « هى الموت ، وهو آت لا محالة ، ولن ينجو منه مخلوق . فالأولى بها وقد دنت من القضاء

(١) سورة فصلت ١١ .

(٢) الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

عليها بالموت « للدرجة التي أحست فيها بحرارته » أن تهتبل الفرصة -
والأ تضيعها . خاصة وأنها قد أعطيت ما تمت من الشهادة . والعادة جرت
أن يسعى الإنسان لما يطلب ويتمنى ، لا أن يُستقَى إليه . ويستمر مخاطباً نفسه
بأنها لا تفرد بعمل كهذا ، فقد سبقها إليه زيد وجعفر ، وقد دعاها الله إلى
الطريق الصحيح ، طريق الشهادة . أفتأبى أن تكون تبعاً وقد فاتتها أن تكون
بذعاً ؟ أما آن لها أن تشعر بالملل لطول السلامة والعافية ؟ وقد حان وقت
الابتلاء في مرضاة الله ؟ ويقرر لها النتيجة الوخيمة لو أضاعت هذه الفرصة
النادرة ؟ وإن تأخرت فقد شقيت « ويتضح معنى « شقيت » من مقابلته
لقوله « هديت » .

واستكثر ابن رواحة على نفسه أن ينتظر حتى يأكل شيئاً يسيراً من
اللحم الذي أعطاه إياه ابن عمه ، فأنبها قائلاً « وأنت في الدنيا » يريد : أيجاهد
إخوانك الآن بدونك ، فيقتلون ويقتلون وأنت تنعم بالطعام . وكانت نفسه
أطوع له من بقائه ، فألقاه من يده ، وأخذ سيفه « وقاتل حتى قتل .
رحم الله ابن رواحة رحمة الأبرار ، وأسكنه فسيح جناته » وأنزله منازل
الشهداء ، إنه على ما يشاء قدير ^(١) .

(١) قدر للراية في وقعة مؤتة أن تصل إلى يد سيف الله خالد بن الوليد ، الذي
قرر في النهاية أن ينسحب بالمسلمين من المعركة غير المتكاثرة . ووصل الجيش
المدينة المنورة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن أفرادهم : إنهم الكرار
إن شاء الله . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك المسلمين بالتهيؤ لغزو
الروم . وكانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع « فأقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة » (السيرة
٥٢٧/٢) وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع « أقام بالمدينة بقية
ذي الحجة والمحرم وصفر » وضرب على الناس بهتاً إلى الشام « وأمر عليهم أسامة =

.

== ابن زيد بن حارثة مولاہ ، وإمرہ أن یوطی الخیل تخوم البلقاء والمداروم من أرض فلسطین ، فتجهز الناس وأوعبَ (جمعوا ما استطاعوا من جمع) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون » (السيرة ٢/٦٠٦) .

« قال ابن هشام (٢/٦٤٢) : وهو آخر بحث بمثه رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقبل أن يتحرك الجيش توفي صلى الله عليه وسلم « وولى الخلافة أبو بكر ، فأخذ جيش أسامة ، وأوصاه أن يفعل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر هنا مثلاً ابن الأثير ٢/٣٣٥ .

رموز المصادر والمراجع الواردة بالديوان

ابن سعد	الطبقات الكبرى لابن سعد .	الصحيح	تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري .
ابن عسا	تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .	الصحيح	صحيح البخاري .
أثير	تاريخ ابن الأثير .	الطبقات	طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
الأساس	أساس البلاغة للزمخشري .	طبرى	تاريخ الطبرى .
الأشياء	الأشياء والنظائر للخالديين .	العقد	العقد الفريد لابن عبد ربه .
الإصابة	الإصابة لابن حجر .	ق	طبعة بولاق .
التاج	تاج العروس للزبيدي .	القاموس	القاموس المحيط للفيروزابادي .
الجمهرة	جمهرة اللغة لابن دريد .	الكامل	الكامل في اللغة للعبرد .
الحاسة	حاسة أبي تمام بشرح الرزوقي .	اللسان	لسان العرب لابن منظور .
حم بحتري	حاسة البحتري .	م . بكرى	معجم ما استعجم للبكرى .
الخلاصة	خلاصة الوفا للسهمودي .	م البلدان	معجم البلدان لياقوت .
الدار	دار الكتب المصرية .		معناه أن ما سئلوه منقول من هامش المصدر .
الروض	الروض الأنف للسهميلي .		
السمط	سمط الآلى للبكرى .		
السيرة	السيرة النبوية لابن هشام .	الوفا	وفاء الوفاء للسهمودي .

دِيَوَانُ

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رُوَاهُ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ

(١) (•)

- ١ — إِذَا أُدِينْتِي^(٢) وَحَمَاتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ
٢ — فَشَأْنُكَ أَنْ نَمُ^(٣) وَخَلَاكِ دَمٌّ وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

(٠) السيرة ٣٧٦/٢ والطبري ١٦١٣/١/٢ وأثير ٩٧/٢ والاكتفاء ٣٧٦/٢
(١ — ٥) والخزانة ٢٦٣/٢ (١ — ٣) و ٣٤/٣ والكامل (أورية) ٧٦
وتحقيق زكي مبارك ١١٤/١ وخلاصة الوفاء ٢٥٣ والأشباه ٢٢٢/١ والسمط ٢١٩
(١، ٢) واللسان «حسا» (١) و «خلا» (٢) و «بعل» و «أنى»
و «سقى» (٥) وشرح درة الفواص ٢٢٨ والصحاح «بعل» و «أنى» والجمهرة
٣١٤/١ (٥) وم البلدان «الحساء» والصحاح والتاج «حسا» (١) والتاج
«بعل» و «أنى» (٥) والأضداد ٢٢٦ وابن عسا ٩٥/١ = ٣٩٣/٧ (١) --
٣، ٥ (٥) و ٤٣٧/٥ (١، ٣ — ٢، ٥) والبيداني ٢٣/٢ (٢) واص ٧٤٩/٢
(١ — ٣) .

(١) في طريقه إلى غزوة مؤتة .

(٢) أديتنى : أوصلتنى ، والخطاب للناقة . والرحل : مركب للبعير والناقة ،
وجمه أرحد ورحال . وجاء في الكامل «الحساء» جمع حسى ، وهو موضع رمل
نحته صلابة ، فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فتمتعه الصلابة أن يفيض ،
ومنع الرمل السائم أن تنشفه ، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب للماء . يقال : حسى
وأحساء وحساء ، وجاء في ابن عسا «مجمع مشق» ٣٨٩/١ ثم انحاز المسلمون
إلى مؤتة قرية فوق أحساء . الخزانة ج ٣ والبرد والبكرى وياقوت وابن
الأنبارى والصحاح والتاج واللسان «حسا» «إذا بلغتني» والخالديان وابن عسا
ج ١ «إذا بلغتني مسافة أربع» و ٥ و ٧ و ١ ص والاكتفاء
«إذا أدنينتى» .

(٣) قاموس «النعم والنعمى بالضم : الخفض والدعة والمال كالنعمة بالكسر ؛
وجمها نعم وأنعم والنعمة بالكسر المسرة واليد البيضاء الصالحة كالنعمى
بالضم والنعماء بالفتح ممدودة ج أنعم ونعم ونعمات بكسرتين وتفتح العين» ويقال =

٣ - وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهى الثواء^(١)

■ - وردك كل ذى نسب^(٢) قريب

إلى الرحمن منقطع الإخاء

• - هنالك لا أبالي طلع^(٣) بقل ولا نخل أسافلها رواء

= افعل كذا وخلاك ذم ■ أى وخلا منك ؛ أى لا تدم ، يريد أنه لا يكلتها سفرا بعد ذلك ولا مشقة ، وإنما تنعم مطلقة ، لتصميمه على الموت فى سبيل الله . وجاء فى الكامل « وقوله : ولا أرجع إلى أهلى ورأى ■ مجزوم لأنه دعاء . فقوله لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يفقر الله له . فهذا الدعاء ينجزم بما يجزم به الأمر والنهى كما تقول ■ زيد ليقيم وزيد لا يبرح » البرد والخزانة والسمهودى والبكرى وأثير واللسان وابن عسا ج ٧ والاكتفاء « فشأنك فانعمى » والخالديان « فدونك فانعمى » وابن الأنبارى « فزادك أنعم » وابن عسا « فحمدك أنعم » والبيداني « فشأنك فانعمى . . . أهلى ومالى » واص « فشأنك فانعمى » وابن عسا ج ٥ « فشأنك أنعمى » .

(١) ثوى المكان وبه : أطال الإقامة به أو نزل . والخزانة « المؤمنون منتهى الثواء » وجاء فيه : « وقوله منتهى الثواء » هو اسم فاعل منصوب على الحال . وابن الأنبارى « وعاد المسلمون . . . منقطع الثواء » وابن عسا ج ١ « وآب . . . بأرض الروم مشتهر الثواء وج ٥ « المؤمنون مشهود » وج ٧ « آب مشتهر » وأثير « مشهور الثواء » واص « للمؤمنون وخلفوني مشهور » .

(٢) الاكتفاء « كل ذى رحم . . . منقطع الرجاء » وأثير « من الرحمن » (٣) الطلع من النخل : شئ يخرج كأنه نملان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته فى أول ظهورها « والبعل : النخل الذى يشرب بمروقه فيستغنى عن السقى ■ يقال : قد استبعل النخل ؛ قال أبو عمرو : البعل والمذى واحد ؛ وهو ما سقته السماء » وقال الأصمعى : المذى : ماسقته السماء والبعل ما شرب بمروقه من غير سقى ولا سماء ■ الصحاح ، رواية الصحاح ■ أتى =



(١) (٢)

- ١ - لَمَزِي لَقَدْ حَكَّتْ رَحَى الْحَرْبِ بَعْدَ مَا
أُطَارَتْ لُؤْيًا قَبْلُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
- ٢ - بَقِيَّةُ آلِ الْكَاهِنِينَ^(٢) وَعِزُّهَا
فَسَادَ ذَلِيلًا بَعْدَ مَا كَانَ أَغْلَبًا
- ٣ - فَطَاحٌ^(٣) سَلَامٌ وَابْنُ سَمِيَّةٍ عَمُوَّةٌ
وَقِيدٌ ذَلِيلًا لِلْمَنَافِيَا ابْنُ أَخْطَبَا
- ٤ - وَأَجْلَبٌ^(٤) يَبْنِي الْمِزَّ وَالذَّلَّ يَبْتَعِي
خِلَافَ يَدَيْهِ مَا جَنَى حِينَ أَجْلَبَا

= نَحْلُ بَعْلٍ وَلَا سَقَى وَإِنْ عَظُمَ الْإِتَاءُ « وَهِيَ رِوَايَةُ اللِّسَانِ وَالتَّاجِ » بَعْلٌ « وَالْإِتَاءُ :
الْبِرْكَةُ وَالتَّمَاءُ وَحَمْلُ النَّخْلِ « وَاللِّسَانُ » سَقَى « وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَالصَّحَّاحُ » بَعْلٌ «
وَابْنُ دُرَيْدٍ وَالْخَفَاجِيُّ « نَحْلٌ سَقَى وَلَا بَعْلٌ وَإِنْ عَظُمَ الْإِتَاءُ » وَابْنُ عَسَا ج ١
« طَلَعَ فَحْلٌ » وَج ٧ « طَلَعَ نَحْلٌ وَلَا بَعْلٌ » :
(١) السِّيرَةُ ٢/٢٠٢ . فَأُجَابَهُ (يَعْنِي عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ) كَعَبِ بْنِ مَالِكٍ ،
أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .
(١) يَرُدُّ عَلَى الْعَبَّاسِ الَّذِي امْتَدَحَ رِجَالُ بَنِي النُّضَيْرِ ، وَهَذِهِ الْمَقْطُوعَةُ تَسْجَلُ
إِجْلَالَ بَنِي النُّضَيْرِ ، وَمَا حَلَّ بَعْضُ الشَّخْصِيَّاتِ مِنْهُمْ .
(٢) الْكَاهِنَانِ ، قَرِيبَتُهُ وَالنُّضَيْرِ ، يُقَالُ إِنَّهُمْ بَنُو الْكَاهِنِ ابْنِ هَارُونَ النَّبِيِّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَالْأَغْلَبُ الشَّدِيدُ .
(٣) فَطَاحٌ : ذَهَبٌ وَهَلَكٌ . وَسَلَامٌ ، هُوَ ابْنُ مَشْكَمٍ « وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النُّضَيْرِ فِي
زَمَانِهِ ذَلِكَ ، وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ . انْظُرِ السِّيرَةَ ٤/٢٤ وَابْنُ أَخْطَبٍ ، هُوَ حَيٌّ .
(٤) أَجْلَبٌ ، جَمَعَ وَصَاحَ مَعًا .

- ١ — كتارك سهل الأرض والحزن ههـ .
وقد كان ذا في الناس أكدى وأصعبا
 - ٢ — وشأس^(١) وعزال^(٢) وقد صأيا بها
وما غييا عن ذاك فيمن تقيبا
 - ٣ — وعوف بن سلى وابن عوف كلاهما
وكب^(٣) رئيس القوم حان وخييا
 - ٤ — فبعدا وسحقا للنضير ومثلاها
إن اعقب فقع أو إن الله أعقا^(٤)
(*) (٤)
 - ٥ — يا قيس أتم شرار قومكم
قدنا ، وأتم أغنهم^(٥) نسبا
 - ٦ — حالقتم الفحش^(٦) والحيانة وآل .
بخل جيمنا واللوم والكذابا
-
- (١) شأس ، هو ابن قيس ، أحد بني النضير وكذلك عزال .
(٢) يريد كب بن الأشرف .
(٣) إن الله أعقا : أى إن الله جاء بالنصر عليهم .
(*) ديوان قيس بن الخطيم ١١١ والطبعة الثانية ١٦٩ .
(٤) ينقص قصيدة لابن الخطيم مطالعها :
رد الخليط الجمال فانتصبا وقطعوا من وصالك السببا
ديوان ابن الخطيم ١٦٩ .
الخليط : المجاور لهم في الدار . وانتضب : انقطع منا . والسبب : الجبل .
(٥) الفت : المهزل الفاسد .
(٦) الفحش : عدوان الجواب ، ومنه : لاتكوني فاحشة ، لعائشة رضى الله عنها
والحيانة أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح . واللوم ، بالضم : ضد الكرم .

- ١ - يا قيسُ إنَّ الأسلابَ ^(١) أحرزها
 من كان يَفْشَى الذَّوَابِ القُصْبُ
 ٢ - وأنتَ في الدارِ غيرُ مُحْتَضِرٍ ^(٢)
 حَرْبًا • وتدعو قتالنا لَمِيًّا
 ٣ - لو كُفَّتَ فيهم والحربُ لا قِحةٌ ^(٣)
 لكُنتَ فيهم مغلَّبًا ذَنبًا
 ٤ - نحن اءَقْبَحُنا ما في ديارِكمُ
 يَوْمَ صَبَّخْناكمُ بِها عُصْبًا
 (*) ^(٤)

٥ - أشاقتك ليلي ^(٥) في الخليطِ الجبابِ
 نَمَمَ فرَشاؤُ الدَّمْعِ في الصَّدْرِ غالِي

- (١) الأسلاب « جمع سلب » بالتحريك وهو ما يسلب - يفشى الذوايب القصب :-
 يجعل السيوف القواطع لأعلى الرءوس بمنزلة الأغصنة لها .
 (٢) محتضر : حاضر . يقال : حضر واحتضر ، ضد غاب . وجاء بعد البيت :
 « لم يكن قيس بن الخطيم حضر يوم بعث » .
 (٣) والحرب لاقحة : أى مشتتة ومتأججة « مأخوذ من قولهم أساساً : لقتت
 الناقة » كسم « بمعنى قبلت اللقاح ، بالفتح ، قهى لافح . والمغلب : المغلوب مراراً .
 (*) ديوان ابن الخطيم ١٣٥ والطبعة الثانية ١٩٩ (١ - ١٥) وأثير ٢٨٨/١
 وأوربية ٥١٣/١ (١ - ٣ ، ٨ - ١٣) والأشباه ٢٨/١ (٧ - ١٠) .
 (٤) يجيب ابن الخطيم ، على قصيدته التى مطلعها :
 أتعرفُ رَسَمًا كاطرادِ المذاهبِ لِمَمْرَةٍ وَخَشَّاءٍ غيرِ موقفِ راكِبِ
 ديوان ابن الخطيم ٧٦ .
 (٥) أثير : « وليلى التى شبب بها ابن رواحة هى أخت قيس بن الخطيم ،

- ١ - بَكَى إِثْرَ مَنْ شَطَّتْ نَوَاهُ^(١) ولم يَقِفْ
 الحاجة محزونٍ شكا الحب ناصبٍ
 ٢ - لَدُنْ^(٢) غَدُوَّةٌ حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
 وراح ■ من هم كلُّ عازبٍ
 ٣ - تَبَيَّنَ فَإِنَّ الْحُبَّ يَمْلُقُ مُذِيرًا
 قديمًا إذا ما خُلَّةٌ^(٣) لم تُصَاقِبِ
 ٤ - كَسَوَتْ قُمُودِي^(٤) عِرْمًا فَفَنَصَّأْتُهَا
 تَخُبُ على مُسْتَهْلِكَاتٍ لَوَاحِبِ
 ٥ - تُبَارَى^(٥) مطايا تَتَّقِي بعيونها مخافةً وَقَعَ السَّوْطُ خَوْصَ الْحَوَاجِبِ

= وعمره التي شب بها ابن الخطيم هي أخت عبد الله بن رواحة ■ وهي أم النعمان ابن بشير الأنصارى « والخليط : الخالط ، والقوم الذين أمرهم واحد . ويقال : جانبه مجانبه وجنابا : صار إلى جنبه وباعده ■ ضد . والأخير هو المراد هنا . ورشاش الدمع : ماسال منه وتفرق .

(١) التوى : الدار والتحول من مكان إلى آخر . وناصب : معي ومتعب . أثير : « ولم يقم » .

(٢) لَدُنْ : ظرف زمان ، وتأتى ظرف مكان أيضاً . ويقال : عارضه في السير ■ إذا سار حياله . وراح من الرواح ■ بمعنى العشى ■ أو من الزوال إلى الليل ■ ويقابله الصباح . وعازب الأموال هي الإبل والشاء التي تمزب عن أهلها في المرعى ■ بمعنى تبعد . والمراد هنا همومه التي تنصب دفعة واحدة . أثير ■ أراحت له من لبه » .

(٣) الخلطة بالضم : الخليلة : وتصاقب : تقارب وتواجه ■ ومنه جار مصاقب . (٤) القمود : الرجل أو خشبه . والمرمس : الناقة الصلبة . ونصاً الدابة : زجرها أو رفعها . والمستهلك : الطريق الذي يجهد من سلكه . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع .

(٥) تبارى ■ تعارض . والحوص : بالتحريك : غشور العين . والمراد بالحواجب الأعين .

- ١ - إِذَا غَيَّرْتَ أَحْسَابُ قَوْمٍ وَجَدْتَنَا
ذَوِي نَائِلٍ فِيهَا كَوَامَ الْمَضَارِبِ^(١)
- ٢ - نَحَايَ عَلَى أَحْسَابِنَا إِبْتِلَادَنَا
لِمُفْتَقِرٍ أَوْ سَائِلِ الْحَقِّ رَاغِبِ^(٢)
- ٣ - وَأَعْمَى هَدَنُهُ لِّلسَّبِيلِ حُلُومُنَا
وَحُصْمٍ أَقْمَنَا بَعْدَ مَا لَجَّ ، شَاغِبِ^(٣)
- ٤ - وَمُعْتَرِكِ ضَنْكِ تَرَى الْمَوْتَ وَسَطَهُ
مَشِينَنَا لَهُ مَشَى الْجَمَالِ الْمَصَابِ
- ٥ - بِحَرْسٍ تَرَى الْمَآذَى^(٤) فَوْقَ جُلُودِهِمْ
وَبَيْضًا نَقَاءً مِثْلَ لَوْنِ الْكَوَاكِبِ
- ٦ - فَهَمَّ جُسْرٌ^(٥) تَحْتَ الدَّرُوعِ كَأَنَّهُمْ
أَسْوَدَ مَتَى تُنْفَضَ السِّیُوفُ نَضَارِبِ

(١) بعده في ديوان قيس : « ويروى الضرائب » والأشياء « وجدتنا إلى مشعر فيها » وفيه « قوله : إذا غيرت ، أى أن يشعوا بعد الجود لما صاروا إليه من الشدة والجهد »

(٢) أثير « واجب » .

(٣) الشغب ، بالسكون ، ويحرك : تهيج الشر . أثير : « بعدما نج ناعب » والأورية : بعدما نج شاعب .

(٤) المآذى : الدروع السهلة اللينة أو البيضاء . أثير « برجل ترى »
وبيضاً نقياً .

(٥) الجسر « بالضم وبضمين ، جمع جسور . تنفض السيوف : تسل . أثير « وهم حسر . لافى الدروع تخالم أسوداً متى تنشا الرماح تضارب » .

- ١ - معاقلم^(١) في كل يوم كريمة
مع الصبر منسوب السيوف التواضب
٢ - فخرتم بجمع زارك في دياركم
تفلمل حتى دوفعوا بالزواجب^(٢)
٣ - أباح حصونا ثم صعد يبتنى
مظلة حتى في قريظة هـ — ارب

(*) (٣)

- ٤ - رةينالك أيام الفجار فلم تزل
حييا فمن يشرب فلست بشارب

(١) الماقل = جمع معقل = وهو الحصن : أثير « مع الصدق » ..
(٢) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع التي تلى الأنامل ، وقيل هي بواطن
مفاصل أصول الأصابع = واحدتها راجبة :
(*) أثير ١/٢٨٥ وبيروت ١/٦٧٦ .

(٣) يخاطب قيس بن الخطيم « واعتقد أن هذا البيت من نقيضة منها أيضاً
الآيات السابقة مباشرة . وقد جاء في أثير أثناء حديثه عن يوم الفجار الأول للأنصار
« فكان قيس بن الخطيم في حائط له فأنصرف ، فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز
عن أخذ سلاحه إلا السيف : ثم خرج معهم ، فعظم مقامه يومئذ ، وأبلى بلاء
حسناً « وجرح جراحة شديدة : فكث حيناً يتداوى منها ، وأمر أن يحتمى عن
الماء » فلذلك يقول عبد الله بن رواحة البيت .

(*) (١)

١ - يا نفسُ إِلَّا ^(٢) تَفْقَلِي تَمُوتِي

٢ - هَذَا حِمَامٌ ^(٣) الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ

٣ - وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ

٤ - إِنْ تَفْعَلِي فَمَعَهُمَا هُدَيْتِ ^(٤)

٥ - إِنْ تَسْلَمِي الْيَوْمَ فَلَنْ تَفُوتِي ^(٥)

٦ - أَوْ تَبْقَلِي ^(٦) فَطَالَمَا عُوِفِيَتْ

٧ - وَإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ

٨ - هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ

٩ - وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ ؟

(■) السيرة ٢/٣٧٩ ، وأثير ٢/٩٨ والطبري ١/١٦١٥ والاستيعاب ؛
والاكتفاء ٢/٢٨٠ (١ - ■) وحمل بجحري ص ٢ (١ ، ٥ ، ٦ ، ٢ ، ٣)
واللسان « حم » (٢) و « صبع » والروض ٢/٢٣٥ (٨ ، ٩) وجاء في الأخير
« وقال (صلى الله عليه وسلم) إما متمثلاً وإما منشئاً » . والجمهرة ٢/٣٠٣ (٨ ، ٩)
وابن عسا ٧/٣٩١ (٨ ، ٩ ، ١٠ - ٤) وفي السيرة ١/٤٧٦ ينسب (٨ ، ٩)
للوليد بن الوليد بن المغيرة .

(١) في مؤنة .

(٢) أثير و بجحري وابن عبد البر « إن لم » .

(٣) الحمام ، ككتاب : قضاء الموت وقدره وصليت : قاسيت حرها . و بجحري
« هذى حياض » .

(■) يريد صاحبيه زيدا وجعفرا .

(٥) لن تفوتي : لن تذهبي وتبعدى .

(٦) قاموس : « والتكليف بلاء » لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار . والبلاء
يكون منحة ويكون عنة ■ والعافية : دفاع الله عن العبد . وعوفيت : وهب الله
ملك العافية من الملل والبلاء .

(*) (١)

- ١- لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وضربة ذات فرغ^(٢) تَقْذِفُ الزُّبْدَا
- ٢- أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حِرَّانَ^(٣) مَجْهَرَةً
بحرية تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيِّدَا
- ٣- حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي^(٤)
أُرْشِدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايَ وَقَدْ رَشَدَا

(*) السيرة ٣٧٤/٢ وطبرى ١٦١١/١/٢ وأثير ٩٧/٢ وابن عسا ٩٢/١
والاستيعاب ، والاكتفاء ٢٧٥/٢ (١ - ٣) وابن سعد ، طبعة بيروت
١٢٨/٢ (١) .

(١) قبيل مغادرته إلى مؤتة . حين قال المسلمون : يحبكم الله ودفع عنكم ،
وردكم صالحين .

(٢) إذا تأملنا هذه المادة في المعجم فإننا ننتهي إلى أن المراد من قول ابن
رواحه : وضربة ذات فرغ تَقْذِفُ الزُّبْدَا « ضربة ذات جرح واسع يتدفق دمه
وتطفو رغوته .

(٣) حِرَّان : عطشان ، والأَنْثَى حَرَى . ومجهزة : سريعة القتل متممه ،
والنفاذ : جواز الشيء عن الشيء والخلوص منه كالنفوذ ، وبخالطة السهم جوف الرمية
وخروج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه ، والحشى : مادون الحجاب مما في
البطن من كبِد وطحال وكِرش وما تبعه ، أو ما بين ضلع الخلف التي في آخر
الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن أو الحصر ، والجمع أحشاء . ابن عسا « وقال
البيهقي : حمران . بدل : حِرَّان » .

(٤) الجِدَتْ ؛ محرّكة : القبر . والجمع أجداث ، بضم الدال وأجداث .
وأُرْشِدَهُ اللَّهُ : هداه إلى الرشَد ، بمعنى الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه . طبرى .
« حق يقولوا ... أرشدك » وأثير والاستيعاب « يقولوا ... يا أرشد الله » وابن
عسا « يقولوا وقد مروا ... يا أرشد الله » والاكتفاء « ما أرشد الله » .

(*) (١)

- ١ - تَذَكَّرَ بعد ما شطَّتْ (٢) نجومودا وكانت تَيْمَمَتْ قَلْبِي وليدا
- ٢ - كَذَى داءُ يَرَى في النَّاسِ يَمْشِي وَيَكْتُمُ داءُهُ زَمَنًا عَمِيدًا (٣)
- ٣ - تَصَيَّدُ غِرَّةَ (٤) الْفَتَيَانِ حَتَّى تَصِيدَهُمْ ، وَتَشْنَأُ أَنْ تَصِيدَا
- ٤ - قَدْ صَادَتْ فَوَادِكُ يَوْمِ أَبَدَتْ أُسَيْلًا (٥) خَذَهُ صَلَمَتَا وَجِيدَا
- ٥ - تَزِينُ مَعَاقِدَ (٦) اللَّابَّاتِ مِنْهَا شَنُوقًا فِي الْقَلَائِدِ وَالْفَرِيدَا

(*) مخطوط جهمرة أشعار العرب ، مكتبة الحرم المكي ، ومخطوطة بالمنحرف البريطاني ، والطبوع ص ١٢٢ وفي ديوان قيس بن الخطيم (الطبعة الثانية ١٤٥ (١) .

(١) ينقص قصيدة قيس بن الخطيم التي مطلعها :

صرمت اليوم حبلك من كلودا لتبدل حبلا حبلا جديدا

الديوان (الطبعة الثانية) ص ١٤٥ .

(٢) شط : بحد . والفجود : المرأة العاقلة والنبيلة . وتيمت قلبه : عبدته وذلته . رواية ديوان قيس « شحطت » .

(٣) العميد : من هذه العشق .

(٤) الغرة : النقلة . وتشنأ : تبغض . يريد أنها ، بجملها ، تملك على الفتيان الباهيم وتأسر بسحرها قلوبهم . دون نية منها أو قصد . مخطوط المنحرف والطبوع « عورة » والعورة : الخلل من كل شيء .

(٥) الأسيل من الحدود : الطويل المسترسل . والصلت : الجبين الأبيض . يريد : لقد صادت فوادك دون قصد منها ، يوم أبدت وجهها أسيل الخد ، وجيناً واضحاً ، وجيداً حسناً .

(٦) المعاهد : جمع المعقد ، وهو موضع الانعقاد . يقال : هو منى معقد الإزار ، أي قريب المنزلة . واللبات ، جمع اللبة ، وهي وسط الصدر والمنحر ، وكأنهم جعلوا كل جزء منها لبة . ثم جمعوا على هذا . والشنوف ، بالضم ، جمع الشنف « بالفتح » وهو ما يلبس من الحلي في أعلى الأذن . والذي يلبس في أسفلها القرط . والقلايد ، جمع القلادة . وهي ما جعل في العنق من الحلي . والفريد ، جمع فريدة ، وهي الشذرة من الفضة تفصل بين اللؤلؤ والذهب . والجوهرة النفيسة كالفريدة . =

- ٢ - فَإِنْ تَضَنَّ عَلَيْكَ بِمَا لَدَيْهَا وَيُضْبِغُ حَبْلُ نَائِلِهَا^(١) جديداً
 ٣ - لِعَمْرِكَ مَا يَوَاقِفُ خَلِيلُ^(٢) إِذَا مَا كَانَ ذَا خُلْفٍ كَنُوداً^(٣)
 ٤ - وَقَدْ عَلِمَ الْقِبَائِلَ غَيْرَ فَخَرٍ إِذَا لَمْ تَلَفْ مَائِلَةً^(٤) رَكُوداً
 ٥ - بَأَنَّا تُخْرِجُ الشُّنُوتَ^(٥) مِنَّا إِذَا مَا اسْتَحَكَمْتَ حَسَبًا وَجُوداً
 ٦ - قَدُورًا تَفَرَّقَ الْأَوْصَالُ فِيهَا خَضِبًا لَوْنُهَا بِيضًا وَسُوداً
 ٧ - مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبُ أَوْ تَرْدُهَا^(٦) نَجِدُنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُوداً
 ٨ - وَأَغْلَظَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَأَلْيَنَهَا لِبَاغَى الْخَيْرِ عُوداً
 ٩ - وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرِ وَأَقْصَدَهَا^(٧) وَأَوْقَاها عَهْداً
 ١٠ - إِذَا يُدْعَى لِثَارٍ^(٨) أَوْ لِحَارٍ فَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عَدِيداً

= والدر إذا نظم وفصل بغيره . يريد أن مواضع الانقاد من وسط صدرها ومنعرجها ، لحسنها وجمالها ، والتي فيها القلائد ، أضفت جمالا إلى جمال الحلى في أعلى أذنيها والدر الذى نظم وفصل بغيره فى جيدها .

(١) النائل والنيل : مانلته . والجديد : المقطوع . مخطوطة المتحف والمطبوع : وتقلب وصل نائلها .

(٢) الكنود ، بالفتح : البخيل ، والمرأة الكفور للمودة . مخطوطة مكتبة الحرم « خليلي » .

(٣) مائلة : ظاهرة واضحة ينظر إليها . وجفنة ركود : ثقيلة مملوءة .

(٤) الشتوات : جمع شتوة « بمعنى الشتاء . وفى الشتاء تكثر المجاعات . والعرب تسمى القحط شتاء .

(٥) مخطوط المتحف « تررها » .

(٦) أقصدها : أكثرها عدلا . من القصد بمعنى العدل . مخطوط الحرم « وأخبطها » تحريف .

(٧) مخطوط المتحف « لسبت » . والسبت : ضرب العنق . مخطوط الحرم « إذا يُدعى لسب » .

- ١- متى ما تَدْعُ في جُشَمٍ^(١) بنِ عوفٍ
تَجِدُنِي لَا أَعْمُ وَلَا حَيٍّ - ودا
- ٢- وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةٍ بنِ كَعْبٍ^(٢)
- وَتِيمُ اللَّاتِ قَدْ لَبِسُوا الْحَدِيدَا
- ٣- زَعَمْتُمْ أَنَّمَا نَانْتُمْ مُلُوكَا وَنَزَعُمْ أَنَّمَا نَلْنَا عِيْدَا
- ٤- وَمَا نَبْنِي مِنَ الْأَخْلَافِ وَنَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمَسُودَ وَالْمَسُودَا
- ٥- وَكَانَ نَسَاؤُكُمْ فِي كُلِّ دَارٍ يَخْدُشْنَ^(٣) الْمَعَاصِمَ وَالْخُدُودَا
- ٦- تَرَكْنَا جَمْعِي كِبْنَاتٍ فَقَعِ^(٤) وَعَوْفَا فِي مَجَالِسَهَا قَعُودَا

(١) هو جشم بن مالك بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج . والأغم ، بالعين غير المعجمة : الغليظ . وحيود : مائل ومنحرف . مخطوط المتحف « ولا وحيدا » والمطبوع « لا أغم ولا وحيدا » والأغم « بالعين المعجمة » من الأغم محرّكة ، وهو سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة . يقال : هو أغم الوجه والقفا . وهم يحبون النزع ، بالتحريك « وهو انحسار الشعر من جانبي الجبهة ، ويكرهون الغم . وتقول المرأة : إذا كان الفقر والنزع قل الجزع ، وإذا اجتمع الفقر والغم تضاعفت الغم ، جمع غمة بالضم ، بمعنى الحزن والكرب . ومن المجاز : سحب أغم : لا فرجة فيه . عن التاج .

(٢) جاء في جم حزم ٣٦٥ « ولد كعب بن الخزرج ساعدة » رواية ما عدا مخطوط الحرم « ساعدة بن عمرو » وقد جاء « ساعدة بن كعب » في قصيدة ابن الخطيم البيت رقم (١٠) مخطوط الحرم « وتيم الله » . وجاء في جم حزم ص ٣٤٦ أن تيم الله بن ثعابة بن عمرو من الخزرج .

(٣) يخذشن : يخمشن ويمزقن . مخطوط الحرام « وكن نساؤكم » ومخطوط للتحف والمطبوع « يهرشن » تحريف .

(٤) الققع ، بالفتح ويكسر : ضرب من الكهأة ، أو هي البيضاء الرخوة =

- ١ - ورهطَ أبى أمية قد أبحمنا وأُرسَ الله^(١) أنبغنا تمودا
 ٢ - وكنتم تدعون يهودَ مالا الآنَ وجَدْتُمُ فيها يهودا
 ٣ - وقد رَدُّوا الفَنائِمَ في طَريفِ^(٢) ونَحَامِ ورهطِ أبى يزيدا
 (•)(٣)

٤ - رحم الله نافع بن بدَيْسِلٍ رحمة المُبْتَغَى^(٤) ثوابَ الجهادِ

= من السكاة ، وهو أردوها . و « عوفا » رواية الجهرة بتحقيق البجاوى (الطبعة الأولى) ومخطوط الحرم « كبنات نقع وقوفا » والنقع ، بالنون : الأرض الحرّة الطين يستنقع فيها الماء ، والقاع . مخطوط المتحف « والمطبوع « وغوغا » تحريف . وجعججى هو ابن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف .

(١) جاء فى السيرة ٤٣٧/١ أن أوس الله بن الأوس بن حارثة ، وتذكرون أوس الله من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف . مخطوط الحرم : « وتيم الله » .

(٢) هم بنو طريف بن الحزرج بن ساعدة بن كعب بن الحزرج . مخطوط الحرم :

« الفرائم » تحريف . والعزمة : الجد فى الأمر والقوة . ويقال : اشتدت العزائم « أى عزمات الأمراء فى الفوز إلى الأقطار البعيدة وأخذهم بها . انظر التساج . وجاء فى مخطوط الحرم بعد البيت : « النعام : شديد الصوت . وقيل : البخيل : إذا سئل أكثر سمّاه كما قال طرفة :

أرى قبر نخسام بخيلٍ بماله كقبر عوىٍ فى البطالة مفسد
 (*) السيرة ١٨٨/٢ والمغازى ٢٧٥ و١ ص ٣/ ١١١٩ والبيتان مع ثالث فى ديوان حسان ص ٩٠ .

(٣) برئى نافع بن بدَيْسِل الذى قتل يوم بئر معونة .

(٤) ديوان حسان « المشتبهى » .

١ - صابراً^(١) صادقٍ وبي إذا ما أ كثر القومُ قال قول السَّدادِ
(**)(٢)

- ٢ - فخبروني أثمانَ العباء^(٣) متى
كنتم بطاريقٍ أو دانت لكم مُضرٌ
٣ - نجالدُ الناسَ عن عُرْضٍ^(٤) فنأيرهم
فينا النبي وفينا قنزلُ الشور
٤ - وقد عَلِمْتُمْ بأننا ليس غَالِبِنَا^(٥)
حتى من الناس إن عَزَوْا وإن كَثُرُوا

(١) الواقدي « صابراً صادق اللقاء . . . أ كثر الناس » وديوان حسان
واص « صابراً صادق الحديث » .
(**) الطبقات ١٨٨ (١ - ٧) والسيرة ٣٧٤/٢ وابن عسا ٩٢/١
(٧ ، ٥ ، ٨) والعقد ٢٧٨/٥ (٧) وابن سعد ٨١/٢/٣ (١ ، ٤ - ٧) واص
٧٥٠/٢ وابن عسا ١٢٨/٤ (٧) و ٣٩٠/٧ (٥ ، ٧ ، ٦ ، ١ - ٣)
والاستيعاب في ترجمته (٥ ، ٨ ، ٧) ثم (٥ ، ٨) والاكتفاء ٢٧٦/٢
(٨ ، ٧ ، ٥) .

(٢) يهجو بني عمرو بن مخزوم وغيرهم من قريش .
(٣) العباء : كساء معروف كالعباءة . والبطريق : القائد الحاذق بالحرب
وأموورها . ودان هنا بمعنى أطاع . ومضر هو ابن نزار كزفر ، أبو قبيلة . وهو مضر
الجرعاء . وسمى بمضر لولعه بشرب اللبن الماخر أي الحامض ، أو لبياض لونه وبالجرعاء
لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه وريعة أعطى الخيل . أو لأن شعارهم كان في الحرب
الرايات الحمراء . ابن سعد : « خبروني » .

- (٤) يضربون عن عرض أي من شق وناحية لا يبالون من ضربوا .
(٥) ابن عسا ■ يظننا » .

- ١- يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلاً ما له غير^(١)
 - ٢- إني تفرستُ فيك الخير أعرفه
فراصة خالفتمُ في الذي نظروا^(٢)
 - ٣- ولو سألت أو استنصرتَ بهمهم
في جُلِّ أمرِك ما آوذا وما نصروا
 - ٤- فثبتَ الله ما آتاك من حسن
تثبيت^(٣) موسى ، ونصراً كالذي نصروا
 - - أنتَ الرسولُ فمن يُحزَمْ نوافله^(٤)
- والوجه منه قد أزرى به القدرُ

- (١) النير : التغير والتغير . وابن عسا ج ٧ « يا آل هاشم » .
(٢) قال ابن هشام « يعنى المشركين ، وهذه الأبيات في قصيدة له » .
ابن هشام « نافلة - الله يعلم أنى ثابت البصر » وفي موضع آخر والاكتفاء ورواية الاستيعاب
الثانية « نافلة فراصة خالفت فيك الذي نظروا » وابن عسا ج ١ « نافلة والله يعلم أنى ثابت
البصر » . وج ٧ زيادة « إني توسمت فيك الخير » والاستيعاب « والله يعلم أن ما خانني البصر »
(٣) ابن هشام والاكتفاء « في المرسلين ونصراً كالذي نصروا » والعقد : تثبيت
عيسى بإذن الله والقدر « وابن عسا ج ١ « وثبت الله » وج ١ « ثبت الله ما أعطاك
..... مثلما نصروا » .
(٤) النافلة : النسيئة والعطية وما تفعله مما لم يجب ، كالنفل . ويقال : أزرى بأخيه
إذا أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يلبس عليه به « وبالأمرتهاون . الاستيعاب : « أنت
النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب لقد » والرواية الثانية فيه « أنت النبي ومن
والوجه منك » والاكتفاء : « نوافله » .

(*)

١ - يا رسولَ الملِكِ إِن لسانِي راتِقٌ ما فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بِوَرْدٍ

(**)

٢ - فلم أَرِ كالإسلام عِزًّا لأهلِهِ

ولا مثَلَ أَضيافِ الأَراشِيِّ^(١) مَعَشَرًا

(***)

٣ - لو لم نَكُن فِيهِ آياتٌ مَبِينَةٌ كَانَتْ بِدَاهَتِهِ^(٢) تَنْبِيْكَ بِالْخَبِيرِ

(*) التاج «بور» «وأنشدنا الإمام ابن السنأوى رضى الله عنه لبعض الصحابة وأخاله عبد الله بن رواحة ونسبه الجوهري لعبد الله بن الزيمري السهمي» والبيت لا يتمشى كلية مع موقف ابن رواحة من الإسلام وإيمانه المعروفين حتى استشهاده . وهو في السيرة ٢ / ٤١٩ مع أبيات لابن الزيمري . وهذا هو الصحيح .

(**) الروض ١ / ٢٦٨

(١) أضياف الأراشي : النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر . وجاء في الروض عن الأراشي « مالك بن التيهان ، واسم التيهان أيضا مالك بن عتيك ابن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بني عبد الأشهل . كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرا واختاف في وقت وفاته فأصبح مائلا فيه إنه شهد مع علي صفين وقتل فيها رحمه الله » وجعله ابن رواحة هنا أراشيا والأراشي منسوب إلى أراشة في خزاعة أو إلى أراش بن لحيان بن الغوث فالله أعلم أهو أنصاري بالحلف أم بالنسب المذكور قبل هذا وقد قيل إنه بلوى « الروض .

(***) (البيان ١ / ١٥ والروض ١ / ١٨٧ وفي الفاضل ١٠ لحسان ، وليس في

ديوان حسان . واص ٢ / ٤٥١ له .

(٢) اص ■ بديهته » .

(*) (١)

١ - كَذَبْتَ لَقَدْ أَقَمْتَ بِهَا ذَلِيلًا تُقِيمُ عَلَى الْمَوَانِ بِهَا وَتَسْرِي

(**)

٢ - وَفِينَا^(١) رَسُولَ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ

إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ

٣ - أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى قَلْبُونا

بِهِ مَوْقِفَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ

٤ - يَبْدَيْتُ يُجَانِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ

إِذَا اسْتَنْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

٥ - وَأَعْلَمَ عِنْدَمَا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّنِي إِلَى اللَّهِ مُحْشُورٌ هُنَاكَ وَرَاجِعٌ

■ ■ *

٦ - فَمِيرْنَا إِلَيْهِمْ كَافَّةً^(٢) فِي رِحَالِهِمْ

جَمِيعًا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَقَعُ شَيْئًا

(*) (ديوان ابن الخطيم ١٢٤ والطبعة الثانية ١٨٧ -

(١) يرد على ابن الخطيم الذي نظم قصيدة جاءت في ديوانه ص ١٨١ بشأن انهزام الأوس أمام الحزرج في يوم معبس ومضرس مطلمها :

ألم خيال ليلى أمَّ عمرو ولم يَلِمَ بنا إلا لأمر

(**) (ابن عسا ٣٩٢/٧ (١ - ٤) والصحيح ٤٦/٢، ١٠٢/٧ (١ - ٣) .

(٢) الصحيح ج ٧ « فينا » .

(***) (اللسان والتاج والصحاح « كفف » وهو من قصيدة لكعب بن مالك

في السيرة ١٣٢/٢ .

(٣) خفف كافة ضرورة . السيرة « جهرة في رحالهم ضحيا » .

(*)

- ١ - شَمَذَتْ^(١) ولم أَكْذِبْ بأن مُحَمَّدًا
رسولُ الذي فوق السماوات من غَلِّ
٢ - وأنَّ التي بِالْجَزْعِ^(٢) من بَطْنِ نَخْلَةٍ
ومن دانها . ، فِلٍ من الخَيْرِ مَعَزِلُ
٣ - وأن أبا يَنْحِي ويَحْيى كلِّهما له عَمَلٌ في دينه مُنْقَبِلُ

(**)

- ٤ - لما رأيت بنى عَوْفٍ وإخوتَهُمْ
كُفْيًا وجمعَ بنى النَجَّارِ قد حَانُوا
■ - قَدِمْا أَبَاحُوا حَمَاكُم بِالشُّيُوفِ ولم
يَنْقَلِ بِكُمْ أَحَدٌ مِثْلَ الذي قَمَلُوا

(*) اللسان ■ فِلٍ « (٢ ، ١) وابن عسا ٣٩٣/٧ (٣ ، ١) وزاد « وهذان
البيتان يرويان لحسان بن ثابت أيضاً ■ وفي ديوان حسان ص ١٨٦ مقطوعة من
خمس أيات فيها الأيات الثلاثة .
(١) ابن عسا وديوان حسان « شهدت بإذن الله أن مُحَمَّدًا » .

(٢) التي بالجزع . . . هي المَرْزَى ، شجرة كانت تعبد . ونخلة على لفظ
واحدة النخل : موضع على ليلة من مكة ، وهي التي ينسب إليها بطن نخلة . انظر م
البكرى وم البلدان . دانها : اتخذها له ديناً . وفل من الخير : خال من الخير .
ويروى ومن دونها ■ أى الصنم المنصوب حول المَرْزَى . اللسان .
(**) أثير ٢٨٤/١ .

(٣) يرد على عبيد بن نافع الأوسى الذي نظم قصيدة وصلنا منها تسعة أيات ،
وذلك في يوم البقيع الذي انتصر فيه الأوس على الخزرج بعد قتال مرير . أولها :
لما رأيت بنى عوف وجمعهم جاءوا وجمع بنى النجار قد حفلوا
انظر أثير (٢٨٤/١) ولیدن ٥٠٥/١ ويروت ٦٧٤/١ .

(*)

- ١ - بَكَتْ عَيْنِي وَحَقُّ لَهَا بُكَاهَا وما يُنْفَى الْبُكَاهُ وَلَا الْعَوِيلُ
- ٢ - عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ ؟
- ٣ - أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وَقَدْ أَصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
- ٤ - أَبَايَمَلِي^(١) فَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
- ٥ - عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ نَحْاطِلُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
- ٦ - أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا فَكُلْ فِعَالَكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
- ٧ - رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذَا يَقُولُ
- ٨ - أَلَا مِنْ مُبْلِغٍ عَنِّي لَوْيَا فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ^(٢) تَدُولُ
- ٩ - وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا وَقَاتِعُنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ
- ١٠ - نَزِيدُكُمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبٍ بِدَرٍ غَدَاةٌ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْمَعْجِيلُ

(*) السيرة ٢ / ١٦٢ (١ - ١٦) « قال ابن إسحاق : وقال عبد الله ابن رواحة يبكي حمزة بن عبد المطلب . قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك . » واللسان « بكى » (١ - ٥) « قال حسان بن ثابت ، وزعم ابن إسحاق أنه لمبد الله بن رواحة . وأنشده أبو زيد لكعب ابن مالك في أبيات » وبعدها « قال ابن بري : وهذه من قصيدة ذكرها النحاس في طبقات الشعراء ، قال : والصحيح أنها لكعب بن مالك » والروض ٢ / ١٦٥ وشرح أدب الكاتب ٢٦٧ (١) واص ١ / ٢٢٧ (١ ، ٢) والبيت (١) في التاج « بكى » لابن رواحة والجمهرة ٣ / ٢١٠ والزهر ١ / ٢٦٤ في كافيها الحسن .

(١) أبو يملى : كنية حمزة رضى الله عنه .

(٢) الدائلة : الحرب .

- ١١- غداة نوى أبو جهل صريماً عليه الطير حائمة^(١) تجول
 ١٢- وعُتْبَةُ وابْنُه خراً جميعاً وشيبةُ عَضَّه السيف الصقيل
 ١٣- وَمَتْرَكْنَا أُمَيَّةَ مُجْلَمَياً^(٢) وفي حَيْرُومِه لَدُنْ نَقِيل
 ١٤- وهامَ بنى ربيعة سائلوها ففي أسيافا منها فُلُول
 ١٥- أَلَا يَاهِنْدُ فابْكِ لَا تَمَلِّ فَأَنْتَ الْوَالِهَ^(٣) الْعَبْرَى الْهَبُول
 ١٦- أَلَا يَاهِنْدُ لَا تَبْدِي شِمَاتَا بِحِمْرَةِ إِيْ عِزِّ كَمْ ذَلِيل
 (*) (١)

(١) يازيد^(٥) زيدَ اليعملات الذَّيْل

(١) حائمة: مستديرة . يقال : حام الطائر حول الماء ، إذا استدار حوله . وتجول : تجيء وتذهب .

(٢) مجلماً : ممتداً في الأرض . والحيروم : أسفل الصدر . والقبيل : العظيم .
 (٣) الواله : الشديدة الحزن جدا . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : الفاقدة .
 (*) اللسان والتاج «عمل» والسيرة ٣٧٧/٢ والطبرى ١٦١٤/١ والخزانة ٢٦٣/٢ وابن عسا ٣٩٣/٧ وحياة الحيوان ٤٨٢/٢ وفي السكامل ٢١٧/٣ لعمر بن لجأ .
 (٤) في طريقه إلى مؤتة .

(٥) زيد: هو ابن أرقم . واليعملات، جمع يعملة، وهى الناقة السريعة القوية على العمل الذيل : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيداً إليها لحسن قيامه عليها ومعرفته بحداثتها . وقوله: تطاول الليل عليك الخ ، روى: هديت بدل عليك . وهو المناسب . أى انزل عن راحتك واحد الإبل ، فإن الليل قد طال وحدث للإبل السكال فنشطها بالجداء ، وأزل عنها الإعياء البغدادى . واستمر « وهذا البيت لعبد الله بن رواحة الصحابى رضى الله عنه ، لا لبعض ولد جرير ، خلافاً لشرح أبيات سيبويه . وهو (يريد الشعر) بيتان لاثالث لهما ، قالهما فى غزوة مؤتة ، وهى بأذى البلقاء من أرض الشام — وكانت فى جمادى الأولى من سنة ثمان من الهجرة » وبعد أن ذكر البغدادى معتمداً على الاستيعاب بأن المراد هنا زيد بن أرقم مشيراً إلى أن هناك رأياً آخر يقول =

نطاول الليل عليك^(١) فانزل

(*) (٢)

١-.. خَلَفَ^(٣) السَّلامُ على امرئ ودَّعْنُهُ

في النخل خَيْرَ مشيِّعٍ وخليلٍ

= إن المراد زيد بن حارثة . أضاف ص ٢٦٤ « وهذا الثاني بعيد ، فإنه يستبعد أن يقال لأمير الجيش : انزل عن راحلتك واحد الإبل ، فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش في غزوة مؤتة وجاء ص ٢٦٧ « واعلم أني رأيت في نوادر ابن الأعرابي أرجوزة عدتها اثنان وعشرون بيتا مطلقا :

يا زيدُ زيدَ اليََمَلاتِ الذُّبُلِ

قال : أنشدني بكير بن عبيد الربيعي . ولا أعلم من هو : أهو سابق على عبد الله بن رواحة أم لاحق له ؟ والظاهر أنه بعده . فإن الرجز في الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثة والأربعة . وإنما قصده وأطاله الأغلب المجلى » . وجاء ص ٢٠٧ عن الأغلب : « وقال ابن قتيبة في كتاب الشراء : كان الأغلب جاهليا إسلاميا » وقتل بهاوند » وهو أول من أطال الرجز . وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فخر أو شاتم » .

وقد ترجم البغدادي لزيد بن أرقم ص ٢٦٥ وزيد بن حارثة ص ٢٦٦ .

(١) ابن هشام وابن عسا وحياة الحيوان وطبرى « هديت » .

(*) للسيرة ٢ / ٣٧٤ وأثير ٢ / ٩٣ والطبرى ٢ / ١ / ١٦١١ والاكتفاء ٢ / ٢٧٦ .

(٢) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خرج لتوديعهم في خروجهم إلى مؤتة .

(٣) خلف السلام على امرئ : أى كان عليه خليفة . والسلام من أسماء الله تعالى .

وشيع فلانا : خرج معه ليودعه ويبلغه مأمنه . وفلانا شجعته وجراه .

والخليل : من أصفى المودة وأصحها .

(*)

- ١ - خلّوا^(١) بي الكفّار عن سبيله
- ٢ - خلّوا فكل^(٢) الخير في رسوله
- ٣ - ياربّ إني مؤمنٌ بسبيله
- ٤ - أعرف حقّ الله في قَبوله
- ٥ - نحن قَتَلناكم على تأويله^(٣)

(*) ابن عسا ٣٩١/٧ (٢، ١، ٥، ٧، ٨، ٣) وبعدها « وفي رواية
جد الأبيات المتقدمة :

قد أنزل الرحمن في تنزيله بأن خير القتل في سبيله »

والسيرة ٣٧١/٢ (١ - ٨) « قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن
أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة (عمرة
القضاء) دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول (الأبيات) قال ابن
هشام : نحن قتلناكم على تأويله . إلى آخر الأبيات . لعمار بن ياسر في غير هذا
اليوم (يعني يوم صفين) والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين .
والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل » وأثير
٩٤/٢ (١ - ٨) وطبرى ١٥٩٥/١/٢ (١، ٢، ٩، ٨ - ٨) والطبقات ١٨٧
(١، ٢، ٥ - ٨) وابن سعد ٨٨/١/٢ (١، ٢، ٥، ٨ - ٣) و ٨٠/٢/٣
(١، ٢، ٥ - ٨) ثم (١، ٥، ٧) واللسان « أول » (٥، ٦) و « قيل »
(٥، ٧) والأساس « أول » - (٥ - ٨) ووقعة صفين ٣٨٧ والمسعودي
المروج ٣٩١/٢ - (٥ - ٨) ثم : أو يرجع الحق إلى سبيله . لعمار بن ياسر
في صفين . والتاج « قيل » والاكتفاء ٢٧٣/٢ (١ - ٤) .
(١) خلى عن الأمر : تركه .

(٢) ابن سلام وابن سعد قسم ١ وابن عسا « مع رسوله » وابن سعد قسم ٢
« فإن كل الخير مع » .

(٣) الأستاذ محمود شاكر هامش الطبقات « ليس المراد بالتأويل في البيت تفسير
الكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤول إليه نأ الله لنبيه ، ومصير
للمؤمنين إلى ما وعدهم به . كما في قوله تعالى « هل ينظرون إلا تأويله يوم =

١ - كما قَتَّانَا كَمْ^(١) على تنزيله

٢ - ضَرَبْنَا بِأُزَيْلِ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ^(٢)

٣ - وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

٤ - إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ

(*) (٣)

• - جَلَبْنَا^(٤) الْخَلِيلَ مِنْ أَجْلِ وَفَرَّجَ

تَفَرُّجًا مِنَ الْخَشْيِ لَهَا الْتَكْوُمُ

= يَأْتِي تَأْوِيلُهُ «ابن سلام وابن سعد : «نحن ضربنا كَمْ» واللسان «أول» الأساس والمنقري وابن عسا والسمودي «نحن ضربنا كَمْ على تنزيله» واللسان «قيل» «اليوم نضربكم على تنزيله» .

(١) ابن سلام «كما ضربنا كَمْ» وابن سعد قسم ١ «كما ضربنا كَمْ على تفسيره» وقسم ٢ «قد أنزل الرحمن في تنزيله» واللسان والأساس والمنقري والسمودي «فاليوم نضربكم على تأويله» .

(٢) مقيل الرأس : مغرزه بين الكتفين .

(*) السيرة ٣٧٥/٢ وطبرى ١/٢/ ١٦١٢/٢ ولا كتناء ٢٧٧/٢ (١ - ٨) ٣٩٤/٧ وم البلدان «معان» (١ - ٧) و «فرح» (١) و «مآب» (٥) وم البكري ١١٧٣ (١، ٣، ٥) والوفا ٣٩٠/٢ والخلاصة ٢٧٥ (١) واللسان والتاج «أوب» (٥) واللسان «عون» (٣) .

(٣) في مؤتة .

(٤) جلبنا الخيل : زجرنا الخيل وصجنا بها من خلفها ، واستحثنا لها للسبق . وأجأ ، بوزن فعل بالتحريك مهموز ومقصور أحد جبلى طي* ، والآخر سلمى ، بفتح أوله وسكون ثانيه مقصور وألفه لتأنيث . وقال ياقوت «الفرع بالفتح ثم السكون والعين مهملة ، وهو أعلى الشيء وهو المال الطائل أيضا . وذو الفرع . أطول جبل بأجأ وأوسطه . وقال =

- ١ - حذوناها^(١) من الضَّوَّانِ سَبَقًا أزلْ كُلُّ صَفْحَتُهُ أديمٌ
٢ - أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ^(٢) عَلَى مَآبٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ قَتَرَتِهَا جُمُومٌ
٣ - فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مَسُومَاتٌ^(٣) تَفْزَسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّمُومُ
- فلا وأبى . مآب^(٤) لثأينها وإن كانت بها عَرَبٌ وروم

= نصر : الفرع موضع من وراء الفرك « كذب . ويقال : غرَّ إبله بمعنى رعاها .
والمكوم ، بالضم ، جمع المك ، بالكسر ، وهو الكارة ، بمعنى المقدار المعلوم من
الطعام . فالمعنى : تطعم هذه الخيل من الحشيش كميات معلومة . ياقوت « قرح »
« من آجام قرح يفر » والبكرى « من أجأ وقرح ... لها عكوم » والسمهودى
والطبرى وابن عسا « من آجام قرح » .

(١) حذوناها سبتا : ألبسناها نعلا مدبوغا وأملس . والضَّوَّان : ضرب من
الحجارة واحدها ضوانة . والأزل : الأملس . والصفحة من الشيء : جانبه ووجهه .
والأديم : الجلد ، أو أحمره أو مدبوغه .

(٢) السيرة ٢ / ٣٧٥ « ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس
أن هرقل قد نزل مآب » من أرض البلقاء ، في مئة ألف من الروم وانضم إليهم من
لحم وجذام والقيين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة
يقال له : مالك بن زافلة .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا « فلما أن يمدنا بالرجال ، ولما
أن يأمرنا بأمره فنمضى له » ومعان ، بالفتح : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز
من نواحي البلقاء والفترة : الضعف والسكون . والجُمُوم : اجتماع القوة والنشاط . بعد
الراحة ياقوت « من معان » والبكرى واللسان « عون » « وأعقب » .

(٣) مسومات : مرسلات . والسموم : الريح الحارة .

(٤) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . ياقوت « معان »
« لثأينها » والبكرى « لثأينها » وابن عسا « فلا وأبى لثأينها جميعاً ولو كانت
وطبرى « ولو كانت » .

- ٦ - فَعْبَانَا^(١) أَعْنَتَهَا جَاءَتْ عَوَاسَ وَالْفَبَارُ لَهَا بَرِمُ
٧ - بَذَى لَجَبٍ^(٢) كَانَ الْبَيْضُ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
٨ - فَرَاضِيَةٌ^(٣) الْعَيْشَةُ طَلَّقَتْهَا أَسْنَدُهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَنِيمُ

(*)

- - أَنَانِي الَّذِي لَا يَقْدِرُ النَّاسُ قُدْرَهُ لَزِينَبَ فِيهِمْ مِنْ عَقُوقٍ وَمَأْنَمٍ
● - وَإِخْرَاجُهَا لَمْ يُخْزَ فِيهَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا قَطِ^(٤) وَيَنْتِنَا عِطْرُ مَنْشَمٍ

(١) عباً الأعنة : جهزها ، والأعنة ، جمع عنان ، ككتاب ، وهو سير اللجام الذي تملك به الدابة . والبريم : كل ما فيه لوانان مختلطان ، فتكون هي وما علاها من الفبار بريما .

(٢) اللجب محركة : الجالبة والصياح . برزت : خرجت إلى البراز أى القضاء . والقوانس جمع قونس وقونوس ، وهى أعلى بيضة الحديد .

(٣) عيشة راضية بمعنى مرضية . والعيشة : التى تعيش بها من الطعام والمشرب وما تكون به الحياة وما يماش به أو فيه والجمع معاش . ونكح كنع وضرب ، وهى ناكح وناكحة : ذات زوج . والأيم ، ككيس : من لا زوج لها بكرة أو ثيبا ومن لا امرأة له . وتئم : تبقى دون زوج . يقال : آمت الزوجة إذا لم تتزوج . طبرى والاكتفاء « أسنتنا » .

(*) السيرة ١ / ٦٥٥ « قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رواحة ، أو أبو خيشمة أخو بني سالم بن عوف ، فى الذى كان من أمر زينب (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال ابن هشام : هى لأبى خيشمة » .

(٤) المأقط : معترك الحرب . وعطر منشم ، كناية عن الحرب ، وهو مثل . وأصله فيما زعموا أن منشم كانت امرأة من خزاعة تباع العطر والطيب ، فيشتري منها للبوتى ، حتى تشاءموا بها لذلك . وقيل : إن قوما تحالفوا على الموت فمسموا أيديهم فى طيب منشم المذكورة - تأكيذا للحلف ، فضرب طيها مثلاً فى شدة الحرب . وقيل غير ذلك .

- ١ - وأمسى أبو سفيان من حِلفِ ضَمَمٍ^(١)
ومن حَرْبنا في رِغمِ أنفٍ ومندم
٢ - قرئنا ابنه عمرًا ومولى يمينه بذي حَاقٍ^(٢) جَلَدِ الصلاصِلِ محكم
٣ - فأقسمت لا تنفك منا كتائبُ سُرَّاءِ خَيْسٍ^(٣) في لُهامِ مسووم
٤ - نزوع^(٤) قریش الكفر حتى نَمَلَهُـ
بخطاطمة فوق الأنوف بميسم
■ - نزلهم أكنافِ نَجْدٍ ونَحْلة^(٥) ولأن يَتَهَمُوا بالخيَلِ والرُّجُلِ نَتَهَمُ
٦ - يَدَا الدهرِ حتى لا يعوج سِرْبُنَا^(٦)
ونَلْحِقَهُم آثارُ عادٍ وجُرْهم
٧ - وَيَنْدَمُ قَوْمٌ لم يُطِيعُوا مُحَمَّدًا على أمرهم وأى حين نندم
٨ - فأبْلِغْ أبا سفيان إِمَّا لقيته لئن أنت لم تُخْلِصْ سَجُودًا وتَسْلِمَ
٩ - فأبشِرْ بجزى في الحياة معجَلٍ وسِرِّ مالٍ قار خالداً في جهنم

(١) هو ابن عمرو الففارى الذى استأجره أبو سفيان وبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا ويخبرهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرض لميرهم في أصحابه ففعل ذلك وتجهز القرشيون وانطلقوا ، وكانت وقعة بدر الكبرى . انظر السيرة ١ / ٦٠٧ فما بعدها .

(٢) ذو حلق : نصل . والصلاصل : جمع صلصلة ، وهى صوت الحديد .

(٣) الخيس : الجيش . واللهم : الكثير .

(٤) نزوع قریش الكفر : نسوقهم كاتساق الإبل . ونعلها : نستذلهم ونعبد عليهم الكرة . ويقال : خطمه بالخطام أى جملة على أنفه ، يريد القهر والغلبة . والميسم : الحديدة التى تؤسم بها الإبل .

(٥) نَحْلة : موضع على ليلة من مكة .

(٦) السرب : الطريق .

(*) (١)

- ١ - شهدتُ بأنَّ وعد الله حقٌّ وأنَّ النارَ مشوى الكافرينا
- ٢ - وأنَّ العرشَ فوقَ الماء طافَ وفوقَ العرش ربُّ العالمينا
- ٣ - ونَحْمِلُهُ ملائكةُ شداد^(٢) ملائكةُ الإله مسوِّمينَا

(**)

١ - يارب^(٣) لولا أنت ما اهتدينا

(*) اللسان « عرض » والاستيعاب ٩٠١ وابن عسا ٣٩٢/٧ .

(١) الاستيعاب : « وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة روينها من وجوه صحاح وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرأه » وابن عسا « كانت لابن رواحة جارية وكان يستسرهما سرا عن أهله فبصرت به امرأته يوماً قد خلا بها فقالت « قد اخترت أمتك على حرتك . — فجأدها ذلك فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ آية من القرآن : وكان قد حلف ألا يقرأ قرآنا وهو جنب . فقال البيت الأول ، فقالت : زدني آية أخرى . فقال البيت الثاني ، فقالت زدني آية أخرى فقال : البيت الثالث : فقالت آمنت بالله وكذبت البصر . فأثنى ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم خدته بذلك فضحك ولم يغير عليه . »

لقد حسبت زوجته أن هذه الآيات من القرآن .

(٢) الاستيعاب ■ غلاظ ■ وابن عسا « كرام . . . مفرينا » .

(**) الصحيح ٢٤/٤ و ٤٤/٥ ■ ٤٥ وابن عسا ٣٩١/٧ وابن سعد ٨٠/٢/٣

و ٥١/١/٢ وفي ٨١/٢ خاصة (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) ثم : ونحن عن فضلك وما استغفينا
ثم (٤ = ٣) وهذا الرجز جاء منسوباً لعلمر بن الأكوخ في كل من السيرة ٣٢٨/٢
(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) وأثير ٨٩/٢ (١ - ٤) نظمه في خير في كليهما .
وصحيح البخاري ٦٨/٥ (١ ، ٢) ثم : فأغفر فداء لك ما أبقينا ثم ٣ ، ٤ ، ٥ ثم :
بالصياح عولوا علينا . وابن سعد ٣٨/٢/٤ (١ ، ٢) ثم : فأغفر فداء لك ما اقتلينا
ثم : (٣ = ٤) ثم : إنا إذا صبح بنا أتينا وبالصياح عولوا علينا .

و ص ٣٧ (١ - ٤) ثم البيتان الأخيران اللذان جاءا ص ٣٨ .

(٣) البخاري ج ٤ ■ ٤٥/٥ « اللهم » وابن سعد ٥١/١/٢ =

١ - ولا^(١) تصدقنا ولا صلينا

٢ - فأقرآن^(٢) سكية علينا

٣ - وثبت^(٣) الأقدام إن لاقينا

■ - إن الكفار^(٤) قد بقوا علينا

٥ - وإن^(٥) أرادوا فتنة أبينا

(*)

٦ - باسم الإله وبه بدينا^(٦)

٧ - ولو عبدنا غيره شقينا

= و ٣٧/٢/٤ « لاهم » والبخارى ٤٤/٥ والسيرة « والله لولا الله » وابن عسا
وابن سعد ٨١/١/٢ « تالله لولا الله » والبخارى ٦٨/٥ وابن سعد ص ٣٨
« اللهم » .

(١) ابن سعد ٨١/١/٣ « وما تصدقنا وما » .

(٢) ابن سعد ٨١/١/٢ « وأقرآن » والبخارى ٦٨/٥ وابن سعد ٣٨/٢/٤
« وألقين » وابن سعد ص ٣٧ « فألقين » .

(٣) ابن سعد ٨١/١/٢ ثبت

(٤) البخارى ج ٤ « الأعداء » و ج ٥ « الأولى » وابن عسا وابن سعد
٥١/١/٣ « إن الأولى لقد بقوا » والسيرة « إنا إذا قوم بقوا علينا » .

(٥) البخارى ج ٤ و ٤٤/٥ وابن سعد ٥١/١/٢ « إذا » وليل البيت في ابن
سعد . « قال وكيع : وزاد فيه غيره » .

(٦) اللسان والتاج والصحاح « بدا » والجمهرة ٣/٢٠٢ .

(٦) بدينا بمعنى بدأنا ، وهى لفظة الأنصار . اللسان والصحاح .

١ - وَحَبِذَا^(١) رَبِّا وَحُبِّ دينا
(*)^(٢)

٢ - أَقْسَمْتُ^(٣) يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ
٣ - لَتَنْزِلَن^(٤) أَوْ لَتُسْكِرَهِنَّ
٤ - إِنْ أَجْلَبَ^(٥) النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّتَّةَ
٥ - مَالِ^(٦) أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ
٦ - قَدْ^(٧) طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً

(١) يقال : حب بفلان، أى ما أحبه . فاللعنى هنا : ما أحبه من دين . ابن دريد « حبذا » .

(*) السيرة ٣٧٩ / ٢ والاكتفاء ٢٧٩ / ٢ والطبرى ١ / ١٦١٥ وأثير ٢ / ٩٨ وابن عسا ٧ / ٣٩٠ (١ - ٦) و ١ / ٩٥ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣) والطبقات ١٨٩ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) وحمل بحترى ص ٢ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) وابن سعد ٣ / ٢ ٨٢ (٤ ، ١ ، ٢) والاستيعاب ، فى ترجمته ، (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) و (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) و (٣ ، ٦) .
(٢) لما قتل جعفر للطيار فى مؤنة أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه « فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال الأبيات .

(٣) ابن سعد « أحاف بالله » وابن عسا ج ١ والاستيعاب « بالله » .

(٤) الطبرى : « طائفة أو فلتسكرهنه » وأثير وابن سعد والاستيعاب « طائفة أو لتسكرهنه » وابن « سلام طائفة » وبحترى « كارهة أو لتطاوعنه » وابن عسا ج ١ (يا نفس طوعا) وج ٧ (طائفة أولا) .

(٥) أجلب الناس : من الجلبة ، وهى اختلاط الصوت . والشدة : الارتفاع والتقوية . والرنة : الصوت ، ابن عسا : إذ أجلب .

(٦) ابن سعد : يا نفس « ألا أراك تكرهين الجنة » . والاستيعاب (جعفر) : ما أطيب ربح الجنة » .

(٧) ابن سلام وابن عسا ج ٧ وطالما وج ١ « وقيل ذا » والاستيعاب : فطالما والرواية الثانية : وقيل ذا ما كنت .

١ - هل أنت إلا نطفة في (١) شبه

(*)

٢ - وَعَدْنَا أَبَا سُمَيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ لِمُعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا

٣ - فَأَقْسِمُ لَوْ وَاقَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا لَا بُدَّ ذِمًّا وَافَقَعْتَ الْمَوَالِيَا

٤ - تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عَتَبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيًا

٥ - عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَ لَدَيْنَكُمْ

وَأَمْرِكُمُ السَّيِّئُ الَّذِي كَانَ غَاوِيًا

٦ - فَإِنِّي وَإِنْ عَفَقْتُكُمْ نِي لِقَائِي فِدَى رَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا

٧ - أَطْعَمَاهُ لَمْ نَذَلْهُ فِينَا بَغْيُهُ شَهَابًا لَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيًا

(١) النطفة : قليل ماء يبق في دلو أو قربة . والشن وبهاء : القربة الخلق الصغيرة ، والجمع شنان .

(*) السيرة ٢/٣١٠ : « وقال عبد الله بن رواحة في ذلك (في إخلاف أبي سميان لوعده في الحجاء لبعد لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم) قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك » .

خاتمة

في الصفحات السابقة درسنا الشر الجاهلي لعبد الله بن رواحة وكله في النقائض تلت ذلك دراسة لشعره الإسلامي ، انضح من خلالها كيف كان العربي في الجاهلية في ضلال مبين « وكيف تحول ذلك العربي نفسه ، بعد أن أصبح مسلماً لله رب العالمين ، إنساناً بكل ما تحمل هذه اللفظة من معان .

وقد تبين لنا أن ابن رواحة بفتريته الإسلامية والجاهلية من خير الذين ينطقون عليهم قوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وقد تلا كل ذلك ديوان ابن رواحة مرتباً مشروحاً متضمناً كل ما ظنناه ضرورياً . نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل « ويسدد الخطى »

ويفير لنا الطريق « إنه سميع مجيب » .

فهرست بالمصادر والمراجع

- الآمدى : (أبو القاسم ، الحسن بن بشر الآمدى) المؤلف والمختلف
فى أسماء الشعراء وكنام وألقابهم وأنسابهم وبمض شعرهم ،
القاهرة ١٣٥٤ هـ .
- ابن الأثير : (على بن محمد) الكامل ، ليدن ١٨٦٩ م بولاق ١٣٩٠ هـ
وبيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .
- ابن حبيب : (محمد بن حبيب) كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ،
بتحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٥٤ .
- ابن حجر : (شهاب الدين أحمد بن على) الإصابة فى تمييز الصحابة ،
كلكته ١٨٥٦ - ٨٨) ومصر ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .
- ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى) جهرة
أنساب العرب ، بتحقيق عبد السلام هارون ، ذخائر العرب ،
(٢) ، ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م .
- ابن الخطيم : (قيس) ديوانه ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، الطبعة
الأولى ، - القاهرة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م والطبعة الثانية
بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .
- ابن دريد : (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصرى)
الجهرة ، الطبعة الأولى ، حيدرآباد ، ١٣٤٤ هـ ١٣٤٥ .
- ابن سعد : (محمد بن سعد الزهري) الطبقات الكبرى ، ليدن
١٩٠٤ - ١٩٢١ .
- ابن سلام : (محمد بن سلام الجعفى) طبقات لفول الشعراء ، تحقيق
محمود محمد شاكر ، ذخائر العرب (٧) .

ابن عبد البر : (يوسف بن عبد الله) الاستيعاب ، تحقيق على محمد الجاوي
القاهرة ١٩٥٨ .

ابن عبد ربه : (أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) العقد
الفريد ، تحقيق أحمد أمين « أحمد الزين » إبراهيم الأبياري «
القاهرة ، ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ .

ابن عساكر : (علي بن الحسن) التاريخ الكبير ، المعروف بتاريخ مدينة
دمشق « مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ - ١٣٣٢ والجزء الأول
بتحقيق د ، صلاح الدين المنجد ، مطبوعات الجمع العلمي
العربي بدمشق .

ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) عيون
الأخبار « دار الكتب بالقاهرة ، ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م -
١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م .

ابن منظور : (أبو الفضل « جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي
المصري) - لسان العرب « بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .
ابن هشام « السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ،
عبد الحفيظ شلبي « الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م ، حلب .
أبو تمام : الحاسة بشرح المرزوقي ، تحقيق أحمد أمين ، عهد السلام
هارون « القاهرة « مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
١٣٧١ هـ ١٩٥١ م .

أبو الفرج : (علي بن الحسين الأصفهاني) الأغاني ، بولاق « ١٢٨٤ هـ
و ١٢٨٥ هـ والدار ١٩٢٧ .

الأنباري : (محمد بن القاسم) الأضداد « بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
الكويت ١٩٦٠ .

البحترى : (أبو عبادة) الحماسة ، تحقيق كمال مصطفى القاهرة ١٩٢٩ .
 البخارى : (أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل البخارى) الصحيح .
 بولاق ١٢٩٦ هـ .

البفدادى : (عبد القادر بن عمر) الخزانة ، القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥١ .
 البكرى : (عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى) سمط اللآلى .
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ ، ١٩٣٦ .
 معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الأولى .
 ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م - ١٢٧١ - ١٩٥١ م .

البلاذرى : (أحمد بن يحيى) فتوح البلدان ، تحقيق د . صلاح الدين
 المنجد ، مصر ١٩٥٦ .

ثعلب : (أبو العباس ، أحمد بن يحيى) مجالس ثعلب ، تحقيق
 عبد السلام هارون ، (ذخائر العرب (١) ١٩٤٨ .

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) البيان والتبيين ، تحقيق
 عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
 ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .

الجوالقى : (أبو منصور ، موهوب بن أحمد الجوالقى) شرح أدب
 الكاتب ، القاهرة ١٣٥٠ .

الجوهري : (إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية ، بولاق
 ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م .

حسان : (ابن ثابت) ديوانه ، بيروت ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .

الخالديان : (أبو بكر ، محمد الخالدى ، وأبو عثمان ، سعيد الخالدى)
 الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، تحقيق محمد يوسف

١٩٥٨ م .

الخطافى : (أحمد شهاب الدين) شرح درة الفواص فى أوهام الخواص ،
القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

الدّميرى : (محمد بن موسى) حياة الحيوان الكبرى ، بولاق ١٣٨٤ هـ
١٨٦٨ م .

الزّبيدى : (محمد المرتضى بن محمد) تاج العروس من جواهر القاموس ،
مصر ١٣٠٦ هـ — ١٣٠٧ .

الزّغشبرى : (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) أساس البلاغة دار
الكتب ، القاهرة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ .

السّمهودى : (على ، نور الدين أبو الحسن بن عبد الله السّمهودى)
خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ، مكة المكرمة ١٣١٦ هـ
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

الشّمىلى : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
الخشعى) الروى الأنف ، مصر ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م .

السيوطى : (عبد الرحمن ، جلال الدين) الزهر فى علوم اللغة وأنواعها ،
الطبعة الثالثة ، عيسى البابى الحلبي ، بدون تاريخ .

الطّبرى : (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك ، أوربية ، ١٨٨٥ —
١٨٨٩ .

الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، مصر .
القالى : (أبو على إسماعيل بن القاسم ، القالى للبغدادى) الأمالى ،
بولاق ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م .

القرآن الكريم

القرشى : (أبو زيد ، محمد بن أبي الخطاب) جبهة أشعار العرب ، الطبعة

- الأولى ، بولاق ، ١٣٠٨ هـ . بتحقيق على محمد البجاوى ،
مصر ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م ، ومخطوطة بالمتحف البريطانى
رقم ٣١٥٨ شرقية ومخطوطة بمكتبة الحرم المكى أدب ٧٨ .
- الكلاعى : (أبو الربيع ، سليمان بن موسى الكلاعى الأندلسى)
الاكتشاف فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق
د . مصطفى عبد الواحد . القاهرة ، ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م .
- مالكى : (السيد علوى مالكى ، وحسن سليمان النورى) نيل المرام ،
شرح عمدة الأحكام ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٨٨ هـ
١٩٦٨ م .
- المبرد : (أبو العباس محمد بن يزيد) الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، السيد شحاته ، مصر ، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ والأوربية
١٨٦٤ م بتحقيق د . زكى مبارك ، الطبعة الأولى ، مصر ،
حلى ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ هـ والفاضل ، تحقيق عبد العزيز
الميسى ، دار الكتب القاهرة ١٩٥٦ م .
- الجنون : ديوانه ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة بدون تاريخ .
- المرزبانى : (أبو عبد الله ، محمد بن عمران المرزبانى) معجم الشعراء
القاهرة ١٣٥٤ هـ .
- المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) مروج الذهب
ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،
الطبعة الثالثة ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .
- المنقرى : (نصر بن مزاحم) وقصة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ،
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ .

الميداني : (أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، الميداني
النيسابوري) مجمع الأمثال ، بولاق ١٢٨٤ هـ .

الواقدي : (أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي) المغازي ، القاهرة ،
الطبعة الأولى ١٣٦٧ ، ١٩٤٨ وبتحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد القاهرة ، ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م ، الطبعة الثانية .

ياقوت : معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ م
، معجم البلدان أوربية ١٨٦٦ ، ١٨٧٣ والقاهرة ١٩٠٦ ، ١٩٠٧
وبيرت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .



